الباب الثالث

مظاهر التأمل
فى الأدب المهجرى

توطئـــــة

الفصل الأول : أبعاد الرؤية الدينية

الفصل الثانـــى : الوجود

الفصل الثالـــث : النفس الإنسانية

الفصل الرابـــع : الحب

الفصل الخامس : الطبيعة

الفصل السادس : الموت

الفصل الســـابع : الحياة

توطئـــــة :

إن التأمل هو المنهج الذى اتخذه الأدب المهجرى وحلق فى آفاقة فقد أطال المهجريون النظر فى نواتهم ، وما حولهم من الكائنات شأن الفلاسفة الروحيين وانشغلوا بما انطوى فى أعماق النفس من المخبآت والودائع وانشغلوا بمشاكل الوجود ، وقضايا الفناء والخلود .

وكذلك تأملوا أنفسهم . وبحثوا فى أسرارها الموغلة فى الخفاء ووضحوا موقفهم من مشاهد الوجود حولهم .. وكل له نظرته الخاصة ..

والأستاذ عيسى الناعورى يقول :

.. والتأمل يكاد يكون ميزة اختص بها فى الغالب مهجريو الشمال .

.. وفى المكان الأول جبران ونعيمه ونسيب عريضة وأبو ماضى ولم يشترك من مهجريى الجنوب ببذه المزية إلا الأقلون وعلى مدى ضيق ، واعتقد أن هذا الحكم فيه بعض التسرع .

لأن الذى يتأمل فى صبر وهدوء وانصاف وتفرد نصوص الجنوبيين شعرا ونثرا يرى أنها تكاد تضارع نصوص الشماليين فى هذه النزعة .

.. صحيح أن أدب الرابطة القلمية يتسم أغلبه بالتأمل .

.. إلا أن هذا لا ينفى هذه السمة عن أدب العصبة الأندلسية فلا يمكن أن نغفل فوزى المعلوف وشفيق المعلوف ، ورياض المعلوف وشكر الله الجر ، والياس فرحات والقروى وصيدح .

.. وحين نقرأ هذا الأدب الشعرى والنثرى نرى أن هؤلاء الأدباء كانوا فى تأملاتهم متجردين من الطبيعة المادية ويسمون فوق الحياة .. فوق البشر .. ويحلقون بأخيلتهم فى عوالم مجهولة .. يحللون النفس الانسانية .. ويصورونها بدقة ، ويحاولون إما طة اللثام عن أسرار الحياة .. وأسرار ما وراء المادة .

وفى كثير من هذه التأملات العميقة يحدوهم الشك ، ولكنه الشك الباحث عن الحقيقة .. المتطلع إلى تحقيق مثل إنسانية عليا خالدة ، لا تتطرق اليها الشكوك ولا تلفعها الأوهام والأساطير.

ومؤلفات المهجريين تعطينا دليلا أكيدا على مدى اتساع الرؤية التأملية عندهم .

وفى مقدمة هذه الأعمال مؤلفات نعيمه وجبران وأبى ماضى وكذلك أمين الريحانى الذى تزخر ريحانياته بالتأملات اللطاف فى قصائده المنثورة .

وكذلك الشاعر القروى وغيره من أدباءالجنوب .. كالياس فرحات فى أحلام الراعى ، وفوزى المعلوف الذى نطير معه على بساط الريح فنجتاز آفاقه المحدوده لنعانق المطلق خلف الحجب .

وشفيق المعلوف الذى نرتاد معه عبقر بأحلامنا الكبيرة ، ونقابل أصناف الشياطين ، ونستنطقهم الحقيقة المرة القاسية .

وبهذا النوع من الأدب .. الباحث عن الحقائق الصريحة خلف الأوهام والخرافات .. يمتاز أدب المهجريين الذى تحرر من قيود القديم وتحرر من قيود المادة وحلق فى أجواء حرة سامية . يكتشف المجهول ويحلل الأشياء ويعللها ليصل إلى حقائقها الخالدة .

وهو أدب أفاضته أرواح حرة ورتلته ضمائر صريحة . لا تجد ما يحدها ويكبلها دون البحث عن الحقيقة .

* *

وبعد هذه الصورة المجملة عن التأمل .. سأبين أهم مظاهره بصورة تفصيلية وذلك باعتمادى أولا على النصوص التى أطلت التأمل فيها من خلال دواوينهم ومطولاتهم الشعرية ومقالاتهم وقصصهم .

ثم آراء الباحثين ثانيا .. والتوفيق بين هذه الآراء ومعارضتها أو تأييدها استنادا إلى حيثيات تسندها الحجة .

ثم تأتى النتيجة التى هى خلاصة تأمل النصوص واستعراض الآراء والتوفيق بينها . ثم أوضح رأيى الخاص :

ومظاهر التأمل عند المهجريين تتمثل فى المعالم الآتية :

١ – اللـــــــــــه « الرؤية الدينية »

٢ – الوجـــــــــود

٣ – النفس الانسانية

٤ – الحـــــــــب

٥ – الطبيعـــــــة

٦ – المـــــــــوت

٧ – الحيـــــــاة

وسأعتمد فى دراسة كل مظهر على الموازنة بين آراء الأدباء فربما تكون متفقة وربما تكون مختلفة . وسأحاول توضيح مبررات الاتفاق ودواعى الشقاق .

ولن أقتصر على المشهورين من الأدباء ، وإنما سيكون اختيار الأديب فى كل مظهر حسب تفوقه فيه.

والشهرة لن تتدخل فى تقويم العمل الأدبى .

فرب أديب مغمور له نظرته التى لا يصل إلى عمقها أشهر الأدباء .

* *

الفصل الأول

«أبعاد الرؤية الدينية»

يقول الشاعر القروى مناجيا ربّه:

يـــارب إنك صاحب الأمـــرْ وأنـــا اليـــك موكـــل أمْـرى
مـــنْ لـــى سواك إذا الهموم طمت وتلاعبـــت بسفينـــة العمـر
أكـــذا أظـــل الدهـر مرتطما أنجـــرٌ من صخْـــر إلـى صخْرِ

تمهيد :

آمن المهجريون بالله ايمانا قويا إلى درجة التصوف. وكان التسامح لب عقيدتهم والحرية الدينية رائدهم فى كل مجال ومنتدى فهم يؤمنون بالله ويدعون إلى الإيمان به. ولكنهم لا يرونه بعيون المعتقدات المذهبية التى نشأوا عليها فى طفولتهم. والتى كانت تحذر الكاثوليكى من أن يشترى زيتا من أخيه الأرثوذكسى كما ذكر نعيمة فى كتابه عن جبران بل يرونه ربا لجميع مخلوقاته على السواء. ويحبون أن يراه جميع الناس كذلك مهما اختلفت مذاهبهم وطوائفهم فلا فضل لذى ملة على ذى ملة أخرى ولا تفاوت بينهم أمامه.

ومثل جبران ونعيمه والريحانى وأبى ماضى كذلك كان إخوانهم فى الرابطة القلمية وغير الرابطة.

فالتسامح الدينى والحرية الفكرية هما المذهب الذى ينتمون إليه ويدينون به.. ولم تبتعد هذه السمة عن أدباء المهجر الجنوبى.

فنرى المسلم والمسيحى يشتركان معا فى تكريم ذكرى الرسول عليه السلام ويمجدونه فى شعرهم ونثرهم.

وهم جميعا يؤمنون بأن الدين لا يفرق بينهم ماداموا إخوانا فى العروبة واللسان والموطن.. وبأن الرسول عليه السلام مفخرة للأمة التى ينسبون اليها والتى يجمعهم لواؤها تحت عزته ونقائه وأصالته.

وكم من حفلة دينية إسلامية هناك كان خطباؤها وشعراؤها من المسيحيين كالقروى وفرحات وشكر الله الجر ورياض المعلوف ونصر سمعان، وجورج صيدح. وسواهم.

* *

وسأبين فى هذا الفصل علاقة بعض أدباء المهجر بالله، وحقيقة موقفهم من الدين وكيفية النظر إليه.

إن الروح الدينية سيطرت على عقول المهجريين وعواطفهم، وأثرت فيهم تأثيرا قويا.

ويرجع ذلك إلى اعترافهم بالله والإيمان بأنه الموجود لهذا العالم وقد عبروا عن هذا فى أدبهم شعرا ونثرا، وجاء تعبيرهم متسما بمسحة فلسفية مردها إلى الفلسفات التى اطلعوا عليها وتأثروا بها.

وبعد استقراء معظم نتاجهم ودراسته تبين لى أن موقفهم من الله يتمثل فى ظواهر متعددة.

أولا :

الإيمان العميق بالله الذى يصل إلى درجة التصوف أحيانا فذات الله عند جبران هى مقصد العبادة الأسنى. وليست العبادة لأغراض نريدها، كصلاح الأحوال الدنيوية، والرغبة فى الجنة، والخوف من النار.

يقول فى مطولته «المواكب» مهاجما طريقة فهم الدين عند بعض الناس حيث تغلب عليها السمة التجارية.

والدين فى الناس حقل ليس يزرعه ... غير الألى لهم فى زرعه وطر
من آمن بنعيم الخلد منتشر ... ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا ... ربا ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ... إن واظبوا ربحو أو أهملوا خسروا

وهو بهذا المفهوم للعبادة والاتصال بالله يقترب من روح المتصوفين السابحة فى محيط الله.. مثل جلال الدين الرومى الذى يصور حبه لله وتعلقه به قائلا.

جاء حبيبى : قمرا لم تر السماء ، ولن ترى له مثيلا
يقظان أو حالما
متوجا بشعاع خالد . لايثنيه سبيل أى سبيل
فى دن حبك يارب غسلت روحى " (١)

(١) م. ر. نيكلسون . الصوفية فى الإسلام ص ١٠٢ - ١٠٣.

ومثل رابعة العدوية حين تناجى ربها فى ضراعة خاشعة:

يا الهى: ان كنت أعبدك طمعا فى جنتك فأحرمنى منها
وان كنت أعبدك خوفا من نارك فأحرقنى بها
وانما أعبدك لذاتك أنت وحدك

ويلتقى نعيمه مع جبران فى هذا الاتجاه المجرد عن كل غرض فى العباده فيقول:

«ما آمن من طمع بالجنة وخاف النار»

وعندما يعتقد نعيمه وجبران فى هذا المبدأ فهما يتفقان مع روح التصوف الإسلامى ويستمدان هذه الروح أيضا من تراث المسيحية ومن الانجيل نفسه. فليس بعيدا وهما المسيحيان نشأة ومعتقدا أن يكونا قد عثرا على هذه الحكاية وهما يقرآن الإنجيل فقد «روى أن المسيح مر على طائفة من العباد وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية.»

فقال : ما أنتم؟

قالوا : نحن عباد.

قال : لأى شىء تعبدتم؟

قالوا : خُوِّفنا من النار فخفنا منها.

فقال : حق على الله أن يؤمنكم ما خفتم.

ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة.

فقال : لأى شىء تعبدتم؟

فقالوا : شوقنا إلى الجنان، وما أعد فيها لأوليائه. فنحن نرجو ذلك.

فقال : حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم.

ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون.

فقال : ما أنتم؟

فقالوا : نحن المحبون لله، لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له

وتعظيما لجلاله.

فقال : أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم «فأقام بين أظهرهم وفى لفظ آخر انه قال للأولين»

مخلوقا خفتـــم ومخلوقـــا أحببتـــم
وقـــــال لهـــؤلاء «أنتم المقربون»

فلا يستبعد أن يتأثر نعيمه بالمسيحية من خلال أحبارها ورهبانها وفرقها «الخوارج» من أمثال فرقة «المصلين». وكذلك أقرانه ممن يسيرون فى الخط نفسه مثل جبران، والتصوف الشرقى المسيحى قد تشرب منذ زمن بعيد أفكار أفلوطين واصطنع لغة المدرسة الأفلاطونية الحديثة » (١) وفى قصيدته «التائه» يصور ضياعه واتقاد الجمرات فى كيانه. وخفاء سرها عنه فيصرخ.

واحـــرقتـــــــى أواه لـــو كنـــــت أدرى مـــا هـــــــى
أشـــعلـــه الإلـــــــه ام شـــعـلـة الـــــــردى

ثم يتحسس طريقه فيجده فى الاتجاه إلى الله. واستنشاق عبير الإيمان ولو كان العبير جمرا.

فـابـــدل لظـــــى نيـــرانـى بجمـــــرة الإيمـــــــان
واجعـــل مـــن الحنـــــان للقلـــــب مرهمـــــــا

* *
إذ ذاك بـــالتـــــهليـل أســـــير فـــى ســـــبيلى
وخـــالقـــــى دليـــلـــى ووجهتـــى الســـــما (٢)

المصلون : فرقة مسيحية من الهراطقة يقوم مذهبها على أن الصلاة المتصلة يمكن أن تجتث أصل الخطيئة وتبلغ بالإنسان حد الكمال الروحى والتحقق، وقد قاموا بنشر مذهبهم، ابتداء من النصف الثانى للقرن الرابع الميلادى حتى القرن السادس.

(١) م. ر نيكلسون: الصوفية فى الإسلام ص ١٣ - ١٤.

(٢) م. نعيمة همس الجفون ص ٥٣ - ٥٤ .

وقد كتب القصيدة السابقة سنة ١٩٢٢م «ولم يكن اهتدى بعد إلى طريق محدد وإنما كان الإيمان مطلبه وأمنيته ويمر به الزمن وتزداد نظرته عمقا وقلبه يشرف على واحة الإيمان فلم يعد يتمنى وإنما أصبحت الحقائق تعلن عن نفسها وتسرب الاطمئنان الى نفسه التى اكتوت بالحيرة كثيرا وعانق قلبه الذى طالما ارتعشت نبضاته أمام أشباح الشك وقبض عقله على طائر الحقيقة الذى كان فى هروب دائم وهو يلهث وراء ظله على الارض.

وفى كتابه «اليوم الأخير فى طبعته الثالثة سنة ١٩٦٧» يقول نعيمه على لسان د/ موسى العسكرى».

ربى لقد طفحت نفسى بغبطة الوجود ... لقد بدأت أفهمك
ربى لا تجعل هذا اليوم يومى الأخير ... وليطل ما طال الزمان
وطالت محبتك (١)

ويعبر أمين الريحانى عن إيمانه بوجود إله قادر جليل وهو يرد على اتهام رجال الدين المسيحى له بالكفر فيقول «اعلموا أننى لست مارقا كافرا كما تقولون فأنا أغار على النواميس الحقيقية، والعقائد القويمة، أذب عنها ما استطعت. أنتم تجدفون على الاله العظيم» (٢).

وهو يهتف فى صدق وحب مناجيا ربه:

«.. سبحانك اللهم، فإن أنت شيدت «العقاقير» بين العقول ورفعت الجدران عند حدود العقائد. فما أقمت حدا أو حاجزا بين القلوب الصافية» (٣) ويناجى ربه معبرا عن إيمانه واعترافه بخالقه.

ياذا الجلال الأزلى ... الحقنى بشىء من جلالك
ياذا النور الدائم ... امددنى بقبس من نورك
ياذا القوة غير المتناهية ... ابعث منها قواى
إنى حىّ فيك ... عليم بنجاويك
أنت الحياة بأجمعها ... أولا وآخرا، وإنى لآحيابك

(١) م. نعيمه: اليوم الآخير ص ٩٤.
(٢) سامى الكيالى: أمين الريحانى ص ١٨٣.
(٣) الريحانى: بين الحرم والإيمان: نقلا عن: جورج غريب: أدب الرحلات ص ١١٢.

... ساعدنى اللهم لأجمع قواى الروحية، والعقلية، والجسدية فى سبيل الحق والحب والحكمة.

أنت إلهى. ولا اله لى إلا لكّ. (١)

وقد اندفع بعضهم إلى الدعوة إلى أن يكون الله هو غاية الشعر وهدفه وهو «نعمه قازان» الذى ألف قصيدة طويلة تبلغ مائتين وأربعين بيتا وسماها «معلقة الأرز» يقول.

ولكننى شاعر مؤمن.. دعوت إلى الله فى دعوتى

ويقر «قازان» بأنه متأثر بنعيمة وجبران فيقول «جبران فجر، ونعيمه فجر في فجر وأنا لست إلاشعاعا من ذلك الفجر».

ويشتد سخطه على الأدب العربى لأنه بحث فيه عن الله فلم يجد شعرا يهديه الى ذلك فعاد من هجير الرحلة ظامئا كمن يأكل النار بالشوكه.

يقول:-

سعيت إلى الله فى شعركم ... فكنت كساع إلى بؤرة
وفتشت عنه بآثاركم ... كأنى أفتش عن علة
فكنت وبى عطش قاتل... ... كمن يأكل النار بالشوكة

واعتقد أن «قازان» لم يجهد نفسه فى البحث عن الحب الالهى فى الشعر الصوفى ولو فعل لعاد بزاد وفير لكنه اكتفى بما سمعه أو قرأه عن المشهورين من شعراء العرب فعاد ساخطا.

وقاده هذا السخط إلى الاعتقاد بأنه «قد فتح مغاليق الشعر وسار حتى وصل إلى غاية الغايات والى أبعد ما أتيح لنفس أن تصل(٢) .

أما غاية الغايات فهى معلقة الأرز «وهى فى الأدب القومى العالمى. هى ثورة كلها وكرم،

---

(١) السابق ص ١٣٧ .
فى بحث بواعث التأمل إشارة إلى هذا فى " التأثر بفكر الشرق وفلسفة المتصوفين .
(٢) محمود الشريف : ثورة قازان فى معلقة الأرز ص ٢٥٧ .

وتعمق فى التفكير، وإيمان بالحقيقة بالله بالقوة التى لا تغلبها قوة. وقازان يؤمن بأن الله مركز الدائرة التى ينحصر فيها تفكيره فهو منها وإليها: يقول فى مقدمة المعلقة تأكيدا لذلك «آمنت بالله وبرحمته وعدله. وبالدنيا ملكوت وفردوس الإنسان وبالإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله».(١)

ونتيجة لهذا التفكير يعد الأدب والأديب والشاعر كل من يرشده إلى الله ويقوده الى الجنة فيقول «الأدب إذن أدبى» كل زرع يثمر فى هذا الحقل وكل نور ولو ضئيل يضىء في هذه الطريق».

والأديب. أديبى . كل من يدلنى على الطريق ويسير أمامى

والشاعر. شاعرى. كل من أدخلنى الجنه وعرفنى الله.(٢)

* *

وفى مقدمة المعلقة يقودنا إلى أعماقه الصافية وروحه الشفافة ويدلنا على قرب المسافة بينه وبين الله، فى مجموعة من الخواطر تفيض بالتسامى الروحى والصلاة المؤمنة بالله وبالإنسان وبالحياة.

فهو ينحو فى أدبه منحى جديدا. فهو شاعر يفهم رسالة الشعر الروحية، وهو انسان يحب الخير للبشرية، ولا يجد مسوغا لفصل الشعر عن الإيمان بالله وبالإنسان وإحكام الصلة بينهما.(٣)

والحب هو الطريق إلى الله.

ويؤمن قازان بأن الحب هو التيار السارى فى روح الحياة، والدين ترجمان ذلك الحب، والله هو الغاية التى تصل إليها يقول فى إحدى قصائده تحت عنوان «الحل الأخير» مازجا بين الشعر والدين والحب والله.

كل شعـــر دين بغيـــر حدود فـــاذا حُدَّ فهـــو دين العبيـد
كل ديـــن للـــه والله حـــب فـــاذا الحب ضـاق بالمبغضينا

لـيـس حـبـا كـلا ولا الـديـن ديـنـا

(١) نعمة قازان : معلقة الأرز .
(٢) السابق .
(٣) عيسى الناعورى : أدب المهجر ص ٥٧٥ .

وهو متأثر فى هذه النظرة بايليا أبى ماضى فى ايمانه بالحب طريقا للنفس ولله حيث يقول: أنا بالحب قد وصلت إلى نفسى وبالحب قد عرفت الله.

وكذلك نراه متأثرا بتعاليم نعيمه فى كتابه «زاد المعاد» وغيره من كتبه الفلسفية حيث نرى النزعة السامية نفسها في الحب الشامل حتى لمن يبغضوننا يقول نعيمه «إنكم إن أحببتم كل ما فى الكون إلا دودة واحدة فسيبقى لكم كرهكم ينبوع ألم ولن ينضب هذا الينبوع حتى ينضب كرهكم».

* *

- والله فى عقيدة قازان نور مشع خلف النافذة التى سدها الفكر بالتعليل والعلل فهو يتمنى أن تحلق روحه تحليقا فطريا لا تتفلسف ولكن تتطهر. لا تفكر ولكن تتسامى وحين يبحث عن وسيلته في صحراء أشواقه للروح يجد جمله متمثلا فى نفسه فيقول:

ما بين قلبى وبين الله نافذة ... قد سدها الفكر بالتعليل والعلل
والله من خلفها نور يقبلنى ... فلا أحس به يا نشوة القبل
مازلت أبحث فى الصحراءعن جملى ... حتى انتبهت لنفسى راكبا جملى[1]

وتشيع فى ديوان القروى الروح الدينية العذبة والممتزجة بالحماس القومى وحب العروبة، ونطالع القصائد الآتية وغيرها فى ديوانه الجزء الأول والثانى صلاة - وقفة على القبر، ونفخت بى، فزع إلى الله سبحانه، يارب ، الهى ، عيد المولد النبوى - عيد الفطر، أين وجدت الله.(٢)

وفى مقدمة ديوانه يعترف بعقيدته ويسلم بوجود الله فيقول:

أؤمن به تعالى إيمانى بوجودى، ولن يساورنى الشك حتى أجد من يقنعنى أنى أنا خلقت نفسى، وأعد بحث العلماء فى. هل الله موجود أدل على الحماقة من تساؤل بصير فى رائعة النهار. هل فى السماء شمس أم لا؟

رافقنى هذا الشعور الدينى طيلة حياتى. فرأيت ظل خالقى يصحبنى أيّان رحلت

(١) نعمه قازان: معلقة الأرز.
(٢) انظر ديوان الشاعر جـ١ جـ٢ الصفحات الآتية على التوالى: ٨٢، ٨٨، ١٠٢، ١٢٠، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٨٩، ٣٥٥، ٨٠٧.

وحللت، وقد علمتنى التجارب أن لا أهل ولا تعزية إلا به وحده، وأن لا حب إلا حبه، قد أنسى الله حينا فى بأسائى ولكننى لم أنسه قط فى نعمائى، فصلاتى مجرد تسبيح وشكر واعجاب بعظمة الخالق».(١)

- ٢ -

ثانيا : وامتدادا لروحهم التصوفية آمن بعضهم بالفناء المطلق فى الله، وتدرج هذا الفناء إلى فناء كل شيء فى كل شيء. الفناء المطلق فى الله، والفناء المطلق فى الإنسان والفناء المطلق فى الطبيعة.

وهذا المذهب هو «وحدة الوجود» وقد اعتقده نعيمه وقال «والفناء هو أقصى درجات المحبة. واذا كنا نقول الله والانسان والطبيعة فهذه كلها تعنى شيئا واحدا هو الحقيقة الكبرى أو الوجود الأعظم».

فهذه الألفاظ الثلاثة إنما هى مترادفات لمعنى واحد فقط، تختلف الألفاظ الدالة عليه. بينما يبقى المدلول واحدا».

ويلاحظ أن نعيمه متأثر بعقيدة التثليث فى المسيحية وكذلك جبران وعن هذه الثلاثة وهى اندماج قدرة الله فى جمال الطبيعة وامتزاجهما بروح الإنسان تتفرع سائر آراء نعيمة وفلسفته التناسخية والإنسانية والإلهية والطبيعية.، والقروى والريحانى، وأبو ماضى وجبران. ممن يتخذون من الطبيعة مجلى لقدرة الإله وترجمانا لأسراره. لكنهم لم يصلوا إلى هذا الحد من الفناء الذى يعتقده نعيمه .. فليس هناك فى رأيه إله وإنسان فالله هو نحن ونحن الله.

يقول من مقالة له بعنوان «الخيال» لكم الكون وكل ما فيه. كما أن فى بذرة الأرز الصغيرة تنطوى كل أسرار الأرزة الكبيرة التى ولدتها، هكذا انطوت فيكم كل أمجاد القدرة التى بعثتكم من اللا وجود إلى الوجود ومثلما أنه يستحيل عليكم أن تفكروا بزمان لم تكن تلك القدرة فيه، كذلك يستحيل عليكم أن تفكروا بزمان لم تكونوا فيه لأنكم كنتم فى ضمير الله دهورا بلا عد من قبل أن تكونوا كما أنتم اليوم. على حد ما كانت بقايا أرز لبنان الحاضرة فى أول أرزة طرحت ظلها على الأرض أحقابا طويلة من قبل أن سمعت ولولة الرياح في وادى قاد يشا» (٢)

---

(١) م. نعيمه زاد المعاد ص ٧ ، ٨.

(٢) القروى ديوانه ص ٢٠ - ٢١.

ووحدة الوجود وعدم انفصال الله عن العالم لب عقيدة نعيمه ومحور تفكيره كما يتضح من النص السابق وغيره.

لكن د/ أنس داود يقول «فنعيمة لا يرى أن الله هو العالم، وأن العالم هو الله، بل يرى أن الله قوة خفية تظهر آثارها فى العالم.(١)

وفى ذلك بعد عن الحقيقة ومخالفة كما تدل عليه النصوص.. ففى نص آخر يقول نعيمه «إن الله الذى هو أنت وأنا وكل انسان سيقيم له من سلالة آدم أنبياء.(٢)

ثم يقول «وليس هناك» أنا « و » أنت و« هو » فأنا كل إنسان وكل إنسان هو «أنا» فاذا أحببت إنسانا أحببت نفسى، وإذا أسأت إلى إنسان أسأت إلى نفسى».

ويفلسف القروى موقفه من الله ولا يقف عند حد المناجاة والتضرع بل نراه فى قصيدة «ذرة التراب» (٣) «يتناول قضية علاقة الله بالعالم. ويوحد فى ظنه الوجود بالموجد، ويلم بنظرية الفيض» فيض العالم عن الذات الإلهية.(٤)

يقول :

تجرى المقادير فيضا من طبيعته ... يَصْدُرْنَ عنه مويجاتٍ مويجاتِ
سر التحول والتكرار مطرد ... هذى البدايات من تلك النهايات
لعل منحجب الأشياء اكثر من ... منظورهن وكم تحظى بآيات

وتبدو ملامح نظرية وحدة الوجود «عند أبى ماضى وإن لم يصرح بها فهو يؤمن بأن الله هو الواهب والملهم كل ما يبدعه الشعراء والفنانون. فالشاعر يراه فى كل شىء مبتهج فى الكون وإن غطت الكآبة وجه الحياة، فالله يبدو بآثاره وروعة إلهامه، فى ما يقوله الشعراء.

(١) د/ أنس داود: التجديد فى شعر المهجر ص ٢٤٠.
(٢) م. نعيمه: زاد المعاد ص ١١٢.
(٣) ديوان القروى جـ ٢ ص ٨٦٧.
(٤) د/ أنس داود: التجديد فى شعر المهجر ص ٢٤٤.

يقول :

من أحب الله فتاكا وجبارا وقاهرْ
فأنا أهواه رساما وفنانا وساحرْ
وأراه في الندى والزهر والشهب السوافر
فإذا الأنجم غارت وانطوت كل الأزاهر
وتلاشى كل ما أنشا وسوى من مناظر
لاح لى فى حسنه الأكمل فى ديوان شاعر(١)

* *

– والإيمان بالله عند الريحانى مسرحه الطبيعة المتألقة، المتألقة بالأسرار الشاهدة بما للخالق من أروع الآثار.. وهو فى هذا النهج يلتقى مع أبى ماضى فى البحث عن الله فى الطبيعة. وفى العزلة كما حدث مع «نعيمه» حين عاد من أمريكا واعتزل الناس وأقام «بالشخروب» وسموه «ناسك» الشخروب «وكذلك الريحانى» بعد أن قضى نصف حياته فى المدينه العظمى مدينة نيويورك راح ينشد حقائق الوجود الكبرى فوجدها فى العزلة ككبار النساك أو وجد فى العزلة سبيلا أوصل إليها، ووجدها فى الطبيعة، أو وجد فى الطبيعة الدليل أوضح عليها، ووجدها فى البساطة أو وجد فى البساطة ألف ناحية من نواحيها، ووجدها فى الجمال، أو وجد فى الجمال الرمز الأنور من رموزها ووجدها فى الوداعة، بل وجد فى الوداعة «أسحر» صورها، وهى جالسة بين أختها الشمس وأخيها القمر.

أو ليس هنا السبيل الذى لجأ إليه كبار الصالحين والفلاسفة، للوصول إلى معرفة الخالق؟ أو لم تتفق التعاليم الدينية والمذاهب العقلية والنشآت الطبيعية فى الدلالة على واجب الوجود، والتوفيق بين موجبات العاطفة ودلائل العقل، ولقد سار «الأمين على هذا الدرب فاكتسب لقب الفيلسوف، إنها الدرب الموصلة إلى الحقيقة. مهما تشعبت وتباينت مسالكها، واختلفت فى الشكل والتفصيل.(٢)

* *

(١) أبو ماضى : الخمائل ص ١٠٧

(٢) جورج غريب : أدب الرحلة تاريخه وأعلامه ص ١١٥.

والله عند «جبران» هو القوة السرمدية التى تكمن وراء كل حركة في هذا الوجود إنه مصدر الحياة والقوة وكل ما ينتاب الوجود من أحداث. وجبران كأمين الريحانى ونعمية والقروى، وأبى ماضى يربط الوجود ومظاهره العاقلة، وغير العاقلة، المنظورة فيها وغير المنظورة، المتحركة والساكنة، بالله فى علاقة متينة، وكلها تستمد قوتها من الله ولا تَحْيا إلا به.

إن كل ما هو كائن يعيش على كل ما هو موجود، وكل ما هو موجود يعيش فى إيمان بلا حدود على فيض العلى المتعال.

ثالثا : وآمن المهجريون بأن «الله موجود فى كل الوجود» وهذه النظره لها أصداء فى الفلسفة الإسلامية، والثقافات الشرقية القديمة والمتصوفون الاسلاميون اتُّهموا بما يسمى «الاتحاد والحلول مثل ابن عربى والحلاج فهم من المتأثرين بالفلاسفة الشرقيين من الهنود أو بالمسيحية المبدلة، أو برأى أفلوطين المصرى.

ويقول المستشرق «نيكلسون» وقد استبان الآن أتم استبانة جوهر الصوفية فى أقصى نموذج لها، ذلك الأ نموذج حلولى تأملى أكثر منه زهدى ورع.(١) والقضية لها مؤيدون ومعارضون ولكل براهينه والمقام يضيق عنها الآن وقد ظهرت آثار هذا المعتقد فى أفكار جبران، ونعيمه وأبى ماضى والقروى ورياض المعلوف ومسعود سماحه.

فجبران يرى الله فى كل الوجود، وينشد معرفته بالتأمل فى أسرار هذا الكون الهائل يقول :

و إن شئتم أن تعرفوا ربكم فلا تُعْنَوا بحل الأحاجى والألغاز. بل تأملوا فيما حولكم تجدوه. وارفعوا أنظاركم إلى الفضاء الوسيع تبصروه يمشى فى السحاب، ويبسط ذراعيه فى البرق، وينزل إلى الأرض مع الأمطار تأملوا جيدا تروا ربكم يبتسم بثغور الأزهار ثم ينهض يحرك يديه بالأشجار ، ويتحدث جبران على لسان المصطفى عن الله فى حديقة النبى حين سأله أحد حواريه عنه قائلا.

إنا لنسمع هنا كلاما كثيرا عن الله أيها السيد. فما قولك فيه؟ ومن هو فى كُنْه الحقيقة؟

فأجاب المصطفى موضحا صورة الإله التى تقبع فى أعماق جبران وهى تعز على كل إدراك وتسمو فوق كل تخيل. وبرغم هذا فهى ليست نائية عنا، وانما تبسط جناحيها علينا

(١) أ. ر. نيكلسون . الصوفية فى الإسلام ص ٣٢.

جميعا لننعم بأمان ما بعده خوف، واستقرار لاينال منه اضطراب.

فالاله اله رحمة وشفقة وليس اله خوف وتعذيب. والحب سفينة الوصول إلى منارة الإيمان. والإبحار لا يقدر عليه إلا من تفانى فى سبيل الوصول وانشق قلبه وهداه إلى الواحد الأحد.

يقول جبران: تخيلوا الآن أيها الصحاب والأحباب. قلبا يسع قلوبكم جميعا وحبا يشمل حبكم جميعا، وروحا تحيط بأرواحكم جميعا، وصوتا يضم أصواتكم جميعا وسكينة أعمق من سكينتكم جميعا، سكينة أزلية أبدية لا يحدها زمان.

ارجعوا إلى جماع أنفسكم باحثين عن جمال تفوق روعته روعة كل جمال وعن أغنية أبعد صيتا من أغانى البحر والغاب.

وعن جلال يستوى على عرش الجوزاء بالقياس إليه مقعد ضئيل .. ويمسك بصولجان الثريا. بالقياس إليه ومضة من ومضات قطر الندى.. ولئن كنتم تسعون دائما إلى الرزق والمأوى. وتلتمسون الكساء . وما تعتمدون عليه فلتسعوا الآن إلى الواحد الأحد «الذى لا هو بهدف تصيبه سهامكم ولا هو بكهف صخرى يقيكم أذى الطبيعة».

فجدوا فى البحث إلى أن تنشق قلوبكم وتهديكم من حيرتكم إلى حب العلى المتعال وحكمته «ذلك الذى يسميه الناس» الله.(١)

ويلتقى نعيمه مع جبران ويؤمن بأن المساواة تجمع الكل فى الواحد والواحد فى الكل وبأن الله موجود فى كل الوجود.. وهذه النظره لها أصداؤها عند الحلاج وقد اتهم بالكفر والإلحاد لأنه آمن بالاتحاد والحلول وعبارته المشهورة لا تخفى على أحد «مافى الجبة إلا الله» ولغة الصوفيين رمزية تشير إلى المعنى من بعيد فالحلاج وان فاضت عاطفته وصاح فى حالة من أحوال جذبه بقوله «أنا الحق» على افتراض أنه قالها فى غير تلك الحالة لم يرد حلولا ولا اتحادا، وإنما أراد التفانى في محبوبه تفانيا أصبح به لا يدرى، ولا يرى إلا حبيبه.(٢)

ومما يؤكد الرأى السابق قول الحلاج نفسه.

---

(١) جبران : حديقة النبى ص ٨٤ – ٨٥.

(٢) طاهر عبد المجيد : الفلسفة الإسلامية جـ ٢.

أنا سـر الحـق، ما الحـق أنا بل أنـا حـق ففـرق بيننـا
أنا عيـن الله فـى الأشيا فهل ظاهـر فـى الكون إلا عيننا (١)

– ويعتقد نعيمه أنه ليس هناك شرف ولا حقارة. فالله نفسه موجود فى كل ما خلقه، وكل ما خلقه موجود فيه. فهل يمكن لمعدن الشرف أن يكون حقيرا؟ أو هل يمكن له أن يخلق شيئا. وهو يخلق ذاته فى كل ما يخلقه؟ «إن أصغر ما فى الحياة يتمم أكبر ما فيها، وإن أكبر ما فيها يتمم أصغر ما فيها، فلا الجبل أثقل من ذرة الرمل، ولا الثور أعظم من الضفدع «ولا الثمرة أثمن من الحطبة ولا الزهرة أقدس وأجمل من الشوكة».(٢)

وشعره يفصح عن معتقده ففى قصيدته «ابتهالات» (٣) يدعو الله أن يكحل عينه بشعاع من ضياه كى يراه فى كل ما خلق، ويسأل الله أن يفتح أذنيه على نداء الحق الذى ينحدر من أعلى عليين ليسمع صوت الله فى كل الأصوات التى أبدعها ويطلب من الله أن يجعل لسانه شاهدا عليه معينا له فى رحلة الحياة المضنية.

فليكن سيفا لسانى حـده فـى سبيل الحق ماض لا يهـابْ
لا يكف الضرب حتى ضـده ينثنى عن غيه نحو الصـوابُ
وإذا ما خان نطقى قلمـى فأراه البطل فى الحق الصـريحْ
فى كلام الغير فاجعل من فمـى للسانى أيها البارى ضـريحْ

ويتمنى من الله أن يجعل قلبه واحة تسقى القريب والغريب والقصيدة نفثات حارة تتصاعد من قلب نعيمه كموجات البحر التى تود معانقة الشاطىء.

يقول :

كحـل اللهم عينـى بشعاع من ضياكْ كى تراكْ
وافتح اللهم أذنـى كى تعى دوما نداكْ من علاكْ
وليكن لى يا إلاهـى من لسانى شاهدانْ صادقانْ
واجعل اللهم قلبـى واحة تسقى القريبْ والغريبْ

(١) الحلاج: الطواسين: نقلا عن أ. رنيكلسون فى كتابه: الصوفية فى الإسلام ص ١٤٥.
(٢) م. نعيمه : زاد المعاد ص ٢٢.
(٣) م. نعيمة همس الجفون ص ٣٥ .

ويتأمل القروى مظاهر الوجود ويجد آثار الله فى كل ذره تتألق بوهج الإبداع ولكن الذى يدرك سره قليل لأنهم لم ينعموا بسمو الروح وكبريائها: ويقول فى فلسفة واعية بطبائع النفوس:

خصصت بالروح القليل من الورى ... وبريت أكثر من بريت جمادا
ونفخت بى روحا يكاد أقله ... يكفى ولو جبل الثرى آحادا
لو لم تكن أنت الوجود مجسما ... لخفقت فى صدر الوجود فؤادا

* *

رابعا ، واتسمت نظرة بعض المهجرين إلى الله بالحيرة، والشك أحيانا إلا أنهم سرعان ما كانوا يعودون إلى اليقين بعد البحث المضنى والتأمل فيما حولهم وفى نفوسهم. ونجد هذه الظاهرة عند نسيب عريضه وأبى ماضى ونعيمه والقروى.

فنسيب عريضه «تصطبغ نظرته بالحيرة، ويتسم موقفه بالشك، فقد اشتهر من بين أدباء المهجر بالحيرة الشديدة والشكوك المتواصلة بحيث يكاد يصبغ شعره كله وتتسم حياته بهذا الطابع الحائر، وعنوان ديوانه «الأرواح الحائرة» يوحى بذلك.

«فالمزية الكبرى لنسيب عريضه الحيرة الروحية التى تتجلى فى شعره وتكاد تصبغ كل قصائده بطابعها القوى مما جعله شاعر الحيرة الأكبر بين زملائه المهاجرين وسائر شعراء المهجر.(١)

إن علامة استفهام كبرى تغلف شعر نسيب، تنم عن حيرته، ومنذ اللحظة التى وصل فيها إلى نيويورك وخلال كل السنوات التالية نجده يواجه الحياة(٢) سائلا ثم مستوحشا، ثم متزهدا، ثم متصوفا لم ينل من الحياة الخارجية نصيبا، فانعكف على الحياة فى داخله يذريها تارة بمذراة عقله، وطورا بمذراة قلبه »(٣) .

وتسرى هذه الروح فى أغلب شعره. فى رباعياته، وفى رحلته إلى إرم. وفى مناجاته، وفى حديثه إلى النجمة، والنجمة رمز للفكرة المشرقة وسط ظلام العقل والحس والشعور يقول:

---

(١) عيسى الناعورى: أدب المهجر ص ٣ - ٤٠.
(٢) نادره جميل السراج: نسيب عريضه ص ٥٧.
(٣) م. نعيمه : الغربال ص ١٣٣.

أيا نجمة سطعت فى الظلام ... أنيرى طريق فتى لا ينام
فتى عذبته النوى والهموم ... فتى ايقظته أمور جسام
أنيرى طريقى خلال الرؤى ... خلال الشكوك خلال السأم
لقد طال ليلى فهل من صباح؟ ... وطال اضطرابى فهل من كلام

وقصيدة التائه «لنعيمه تعبر عن هذه التجربة ولكنه ينتهى إلى مناجاة ربه فى خشوع.

فابدل لظى نيرانى بجمرة إلايمانِ
واجعل من الحنان للقلب مرهما
إذا ذاك بالتهليلِ أسير فى سبيلى
وخالقى دليلى ووجهتى السما (١)

وبنفس الروح يناجى نسيب ربه طامعا فى الاطمئنان الروحى وهو غير يائس ولا مستسلم لشكوكه برغم حدتها يقول:

أيا من سناه اختفى وراء حدود البشر
نسيتك يوم الصفا فلا تنسنى فى الكدر

* *

أيا غافرا راحما يرى ذل أمسى وغدى
معاذك أن تنقما وحلمك ملء الأبد (٢)

ومن المؤشرات التى تدلنا على تصوف نسيب وروحة الدينية «أنه يعتمد على الرمز العاطفى ذى الإيحاءات المتعددة البعيدة، وخاصة ما يتصل بالرموز الصوفية لطبيعة موضوعه، وعلاقته بالنظرة الصوفية والفلسفة المثالية. فأما المحور الذى تدور عليه أكثر رموزه فهو القافلة والرحلة، ولذلك نجده يتحدث دائما عن الربوع، والدليل، والظلام والحادى والنور البعيد والسراب

(١) م . نعيمه / همس الجفون ص ٥٤.
(٢) نسيب عريضه: الأرواح الحائرة ص ٢٦٤.

والناقة والركب والحمى والوطاب.

وتعجبه كلمة «الدروب» فيكررها دون ملل. وهو يتبع هذه الصور دائما بمعنى الظلام والحيرة وترقب الشموس، فإذا تحدث عن الفناء عرض غروب الشمس، وقد يعرض البحر أحيانا رمزا للفناء، وأن الناس كلهم أنهار تلتقى فيه.(١)

والرموز السابقة تشير إلى حيرته فقد ظل حائرا أمام معميات الحياة وتناقضاتها ولا يملك إلاتساؤلاته المتلاحقة التى زادته قلقا وحيرة. إلا أنه كان يعد الله ملاذه الحنون. يهديه بعد الضياع ويزرع فى روحه الأمل بعد القنوط.

ولنسمعه يتضرع إلى ربه فى لغة عذبة فى عفوية الطفولة، ولهفة الحائر، واستغاثة الغريق، وشوق المحب.

مراعيك خضر المنى هى المشتهى سيدى
وجسمى دهاه العنا حنانيك خذ بيدى

* *

وعند أبى ماضى تأخذ الحيرة طابعا فكريا. حيث يجرى حوارا بينه وبين ابنه حول ماهيه الله.. ويؤكد أبو ماضى أن حقيقة الله لا يعرفها أحد ولكنه يمكن أن ندركه فى آثاره الخالدة فى الكون. ويأتى بصور فلسفية.. الذرات صارت صخورا والقطرات صارت بحرا والبحر حوى الأصداف والدرر والضوء أصبح أجراما وكواكب.

فالطريق إلى ا لله يتمثل فى الفكر الجاد، ثم الحس والشعور.. ثم البهجة فى الحياة التى تكون نتيجة للاطمئنان الروحى.

ويجيب أبو ماضى ابنه حينما يسأله وماكُنْه إلاله؟ وما ماهيته؟ قائلا :

قلت يا ابنى أنا مثل الناس طرا
لى فى الصحه آراء وفى العلة أخرى
كلما زحزحت سرا خلتنى أسدل سترا
لست أدرى منك بالأمْـ ـرِ ولاغيرى أدْرى

إنمـــا اللـــه الـــذى صـــاغ مـــن الـــذرات صخـــرا
والـــذى شـــاء فصـــارت قطـــرات المـــاء بحـــرا
والـــذى شـــاء فضـــم البحر أصـــــدافـــا ودرا
وأراد الضـــوء أجـــراما فصـــار الضـــوء زهـرا
أن هـــذا اللـــه لما شـــاء هـــذا كـان فكرا (١)

* * *

وقد تتولد الحيرة من الصراع النفسى الذى يعانيه الإنسان من التصادم بين قيمه الروحية وغرائزه الجسدية.. كما حدث مع القروى حيث اندلعت من وجدانه شرارة الإيمان لتصطدم بجذوة الغريزة في نفسه فيقع صريعا ما بين فطرته وغريزته فيتمعن هنا وهناك ولا يجد إلا ربه فيصلى في خضوع ويتمتم فى قصيدته «صلاة» (٢).

سيدى كـن علـى الحيـاة معينـا تائبـا ذاق مـن رضـاك معينا
كـم صـرفت السنـين والقلب لاه عنـك يـارب كـم صـرفت السنينا
كلمـا الصبـح لاح أحسـب أنـى منـه أنسـت وجهـك الميمـونا
فأغنـى مـع العصافيـر حمْدا كـاد للحمـد يستفـز الغصـونا
ثـم نـادى داعـى الذنـوب فلبيت دليـل الذنـوب يعمـى العيـونا
فتعطـف علَـىَّ ربـَّاهُ وارأف بأثيـم يرجـوك ربـا حنـونا

خلاصة: وقادتهم الحيرة فى كثير من المواقف الى التسليم بالقضاء والقدر اعترافا منهم بقدرة الخالق وعجز المخلوق عن تفسير أسرار هذا الكون، وفشله فى الوصول إلى حقائق الأشياء.

فمن منطلق الذات والشعور بالهزيمة فى الحياة يستسلم القروى لقضاء الله فيناجيه فى تذلل وخشوع وسكينة.

يـارب إنـك صاحب الأمـر وأنـا اليـك موكـل أمـرى
مـن لـى سـواك اذا الهموم طمت وتلاعبـت بسـفينـة العمـر
أكـذا أظـل الدهـر مرتطما أنجـر مـن صخـر الى صخر (٣)

وأحيانا يكون التسليم بالقضاء والقدر طريقا إلى الإصلاح الاجتماعى وخلق التوازن

(١) إيليا أبو ماضى الخمائل ص ١٩٢ .
(٢) ديوان القروى جـ ١ ص ٨٢.
(٣) السابق ص ٢٦٦.

النفسى حتي لا يصدم الناس بالواقع المرير.. وهذا ما نجده عند ايليا أبى ماضى وحين نتأمل مطولته الحكاية الأزلية من زاويتها التى تتناول موقف المخلوقات من الله. وكيف تقمص أبو ماضى شخصية أصناف مختلفة من المخلوقات الرافضة لواقعها. نعثر على أثر نفسية أبى ماضى من خلال محاوراته لله على لسان النوعيات البشرية التى ذكرها فى مطولته وهى تبلغ «مائة واثنين وأربعين بيتا» تجمعها عشرة أناشيد. يتمثل فيها أبناء الحياة على اختلاف طبقاتهم ونوازعهم النفسية.

والحكاية أزلية حقا. فالانسان منذ أن وجد على الأرض لم يرض قط بنصيبه من الحياة ولا بقسمته من الوجود. فهو أبدا ناقم على هذه القسمة يريد تغييرها ولكنه لا يرضى أويقنع أبدا ولو تغيرت قسمته فى كل لحظة والقصيدة تعبر عن فلسفة أبى ماضى القدرية.فإذا تناولنا نفسيته بالتشريح نرى أنها نفس استسلامية غير متمردة وان كانت هذه الحكاية تعبر فى ظاهرها عن تمرد وثورة على المواصفات الكونيه والمسلمات التى وجد عليها الورى.

لكن المتأمل فى عمقها يرى أنها تعبر عن موقف أبى ماضى الذى بثه من خلال رفض أبطال الحكاية ثم تبين لهم فى النهاية أن رفضهم لا فائدة منه ولابد أن يرضى الكل بقسمته. فالوجود هو الوجود. ولن يغير فيه شىء فالله خلقه فى ظاهره متناقضا: لكنه خاضع لمقاييس ثابتة يقدرها الخالق العليم فهناك أسرار تكمن خلف اختيار المخلوقات ونشأتهم على هذا النحو. ولهذا العمل أو ذاك.

فالشاب يتمرد لأن الله لم يجعله شيخا والشيخ يشكو لأنه يريد أن يكون شابا وتؤخذ منه حكمته، وتعاتب الحسناء خالقها لأنه خلقها جميلة. والجمال لا يورث إلا الفضائح. فهى مرمى سهام التهم والخيانة والغدر.

وتهب الجارية الدميمة حانقة ناقمة على قسمتها القبيحة وترى أنها تعيش فى عالم أحكامه جائرة. ومن جور هذه الأحكام أنه...كما يقول أبو ماضى

لـــيس لـــذات القـــبح مـــن غـــافر وفـــيه مـــن يغفـــر للزانـــــــية

والغنى ينهض ويشكو إلى الله تحكم المال فى نفسه ويريد أن يكون فقيرا لأن الخوف يقتله من ضياع مستقبله لو ذهب ماله هباء.

وعلى العكس منه يثور الفقير على فقره، ويثور الأبله على خلقه بهذه الطريقه والعبقرى يعذبه ذكاؤه. فالعبقرية سبب محنته، وكأنه بذلك يردد قول المتنبى ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله.. وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم .. وأخيرا تنتهى الشكايات... ويقف الجميع فى انتظار حكم أحكم الحاكمين وصدر الحكم «كونوا كما تشتهون».

لما وعى الله شكايا الورى ... قال لهم كونوا كما تشتهون

فكانوا كما اشتهوا من قبل ، وتحول كل منهم إلى ما تمناه .

- ويقترب من أبى ماضى فى التسليم بالقضاء والقدر رغبة فى الاصلاح الاجتماعى الشاعر الياس فرحات. لكن ابا ماضى يقصد من استسلامه إلى خلق التوازن النفسى أما الياس فتسليمه يدفعه إلى حسن المعاملة والخلق النبيل لأن الدين عنده لا يكون بغير المعاملة الحسنة والأخلاق النبيلة والبعد عن الزيف والخرافات، يقول.

ويقول:

الدين قلب نقى لا اتصال له ... بالزيت والملح والتعزيم والهذر

ويقول :

يامؤمنا كان يدنينى ليقنعنى ... أن الصلاة سلاح غير منكسر
وأن فى صور الأبرار تعزية ... للمؤمنين ومنجاة من الخطر
لم لا أراك إذا انتابتك نائبة ... مستسلما لقضاء الدين والقدر
لا تسع للكسب وادفع ما عليك وعش ... كالناس واشرب وكل من هذه الصور

ويؤكد تمسكه بالأخلاق الحسنه والدعوة إليها وتقديره للتفكير والعلم فيقول:

إذا الشيخ والقسيس لم يكرما النهى ... وأحكامه فليبرأ الدين منهما
إذا أنت أديت الفرائض كلها ... ولم تك حسن الخلق لم تكن مسلما

وبدافع من نزعته فى تهذيب الإنسان يبنى علاقته بالله على هذا الأساس فيقول:

ولما رأيت الغنى الغبى ... يفوز على الفيلسوف الفقير
تنهدت حزنا ورحت أقول ... مخاطبا الله بارى الشعوب
إلهى لماذا خلقت العقول ... بعصر تفكر فيه الجيوب

وحين يعذبه ضميره ويمنعه من الانحراف عن القيم يقول:

شكـــوت ضميـــريَ شكـــوى الجهول ... ونحـــت علـــى الحـــظ نـوح الغراب
فأسمعنـــى اللـــه صـــوتا يقـــول ... أتشكـــو ضميـــرك يـــابن التـراب
ولولا ضميـــرك مـــا كـــنت شـيًا ... ولـــو كـــنت مـــن نيرات الثريا

ومن الشعراء الذين راضوا أنفسهم على التسليم بالقضاء والقدر: أبو الفضل الوليد وتسليمه يرجع إلى الاطمئنان الروحى الذى أحس به بعد اعتناقه الاسلام واقتناعه بذلك واعتقاده أن كل ما تأتى به الأقدار لا يكون إلا خيرا. فالتسليم ليس عن ضعف أو يأس ولكنه عن إيمان عميق، واطمئنان روحى وأمان نفسى.. إنه يناجى ربه فى حب وأمل.

يـا مـــالك السمـــوات والأرض ... وقـابـــض الـــدول والسـلاطين
خلـــص الشـــرق مـــن الغربيـــين ... ونجنـــا مـــن مكائـد الاجنـبيين
واجعـــلنـــا متـدينـــين ... غـــيـــر متعصـــبـــين
أحـــــرارا مســـتقلـين ... غيـــر مسيطـــر عليهم ولا متفرنجين

سادسا: الروح الدينية القوية التى تمتع بها المهجريون جعلتهم يعتزون بالعقيدة الدينية ونتاجهم يفسر هذه الظاهرة حيث سرت هذه الروح الدينية في أعمالهم الإبداعية ولونت مشاعرهم، وكانت الحرية الدينية مذهبهم، ولم يعرفوا التعصب الذى يحجب الحقيقة عن الإنسان.

ولذلك نرى الدين بمعناه المجرد، وارتباطه بالخالق يلقى منهم اهتماما كبيرا وقد ساعدهم هذا الشعور على الارتباط بالله ارتباطا وثيقا كما أوضحت سابقا.

ففى كتاب «النبى» يخصص جبران فصلا يتحدث فيه عن الدين ويربط الدين بالحياة ويوضح أنه عندما تحدث فى شئون الحياة والمعاملات والنفس فهو لم يبتعد عن الدين وكأن جبران بذلك يرد على دعاة الرهبانية فى العقيدة المسيحية الذين يفصلون بين الدين والحياة، ويعتقدون أن هذا جوهر ديانتهم.

ويلاحظ أن جبران أتى بالحديث عن الدين فى نهاية الكتاب قبل حديثه عن الموت يقول «وهل تكلمتُ اليَوْم فى موضوع آخر غير الدين؟

أليس الدين كل ما فى الحياة من الأعمال والتأملات

من يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله؟ وعقيدته عن مهنته؟

فالدين فى رأيه لا ينفصل عن الحياة، بل هو سر جمالها وحيوتها واستمرارها المتجدد.

ويختلف أمين الريحانى عن جبران فى نظرته إلى الدين وعلاقته بالله فجبران أقرب إلى التصوف من أمين الريحانى، والتأمل هو النسيج الذى يكون الخط الفكرى لجبران.. فعناوين كتبه توحى بهذه الروح الدينية القوية مثل كتاب «النبى» وحديقة النبى، ويسوع، والأرواح المتمردة، واختياره لفظ المصطفى ، بطلا أو رمزا فى كتاب النبى، وحديقة النبى ليذيع أفكاره على الناس بدافع من هذه الروح.

ولكن الريحانى اتخذ من هذه الحرية الدينية وسيلة لتوحيد أمته وجمع قلوبها قبل كل شىء على الوعى الوطنى والقومى، وعدم استخدام الدين فى التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، والأمة الواحدة.

والمتأمل لكتب الريحانى المتعددة «الريحانيات، المكارى والكاهن، المملكة الثلاثية، التطرف والاصلاح، وغيرها يرى فيها من الحرية الدينية والفكرية الشىء الكثير».

والروح الدينية تسرى فى نتاج نعيمه كله.

ففى ديوانه « همس الجفون نرى القصائد المتعددة التى تحمل شحنات هائلة من التيار الدينى مثل «من أنت يا نفسى»، من سفر الزمان «لو تدرك الأشواك ابتهالات، صدئ الأجراس، التائه، الخير والشر، قبور تدور، الى دودة، العراك وفى مقالاته وقصصه ملامح دينية عميقة. وكذلك فى تعبيراته يسرى هذا النفس الروحى المتجرد.

وكتابه «زاد المعاد» مفعم بهذا التيار الذى تترجمه المقالات الاتية: «الخيال»، «الأبواق المحطمة»، «العالم الباطنى»، «جناحا البشرية» «الموت والحياة»، الكون كامل للكاملين، «سلام الله وسلام الناس والدين والشباب».

ولم نفتقد هذه الروح فى كتابه «صوت العالم» ففيه مقالات متعدده تسيطر عليها هذه الروح مثل «مهماز البقاء»، «طائر الفينكس، مدرسة الغد، الدين والدنيا».

وإيليا أبو ماضى فى فلسفته الدينية لا يبعد كثيرا عن زملائه السابقين وإن كان يبدو

واضحا أكثر منهم. والشك لم يتطرق إليه في عقيدته وإن كان طائفه قد حام عليه فى أماكن أخرى وزمان مغاير لزمان عقيدته.فهو يؤمن بدور الدين فى الحياة إيمانا صادقا بدءا ونهاية.

ففى ديوانه الأول «تذكار الماضى» نلمح القصيدة الأولى وعنوانها «الإنسان والدين» وهو فيها يثور على الإنسان ثورة يقوى ريحها الانفعال ويضعف كذلك تأثيرها.

فثورة أبى ماضى على الأنسان ووصمه بكل نقيصة. وهو فى هذا المنعطف الخطير من حياته. عهد التكوين. يدل على موقف أبى ماضى من الإنسان، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة.

وهو موقف الرافض لما عليه الإنسان من الغرور المستأسد عند القوة، واللين السام الناعم عند الضعف، والفطرة الشريرة الراسخة فى تكوينه.

ويرى أبو ماضى أن الإنسان عريان ما لم يتدثر بدثار الدين مهما بلغ من التقدم فى العلم والحضارة لأن الدين هو الحياة يقول:

قالوا ترقّى سليل الطين قلت لهم ... الآن تم شقاء العالم الانا
إن الحديد اذا مالان صار مدى ... فكن على حذر منه إذا لانا
قد حارب الدين خوفا من زواجره ... كأن بين الورى والدين عدوانا
انى ليأخذنى من أمره عجب ... أكلما زاد علما زاد كفرانا
إذا ارتدى المرء مافى الأرض من برد ... وعاف للدين بردا عاد عريانا(١)

ويلاحظ أن أبا ماضى لم يحدد رأيه فى الدين الذى يقصده ولعله تعمد ذلك اعتقادا منه بأن جوهر الدين واحد.

وفى ديوان «تبروتراب» يبدو ذلك الشعور متجسدا فى قصائد متعددة وبخاصة القصائد التى يتفجع فيها على أحبابه وهى:

الشاعر – مازال فى الأرض حيا – يا قائد القوم – ليتهم عرفوه – سكت الشادى وبح الوتر – لم يهدم الموت إلا هيكل الطين – ريح الردى.

وهو يدعو إلى التسامح والتسامى فى الموقف العقائدى، والتشبه بالطبيعة التى لا مذاهب فيها ولا طوائف وهو فى هذه النظرة ينفرد عن زملائه بإقحام الطبيعة بصورة مركزة.

(١) أبو ماضى : تذكار الماضى ص ٩

والإحساس بالشقاء الإنسانى عند نسيب عريضه يدفعه إلى الدين لكى يبحث عن سعادته وأمانه، فيتمنى أن يكون ربا.. وهو يبدى هذا الموقف فى قصيدته «لو كنت ربا» التى وردت في كتاب «الغربال» لنعيمه ضمن القصائد التى لم تظهر فى ديوانه، وفى هذه القصيدة تظهر فلسفته وموقفه: وهو يمزج بين المادة والروح وبين الحلم والواقع حيث نحس بلسع نار الشقاء الإنسانى ولفح هجير الحياة ورمضائها وهما يكويان أعماق الشاعر. فهو يتمنى إن كان ربا أن يهبط من عرشه إلى أرض الشقاء ويغسل بالدموع جراح الإنسان ويستغفر له عن عيشته المقسومة التى هى فى جحيم من لدن بدء الخليقة إلى اليوم ولن يغير من قسوتها سوى التمسك بالدين. ولا شك أن هذا الموقف فيه حنين إلى الأرض وارتباط بالحياة وشكوى منها ومحاولة لترطيب جفافها وإنبات الخير فيها وهى نظرة متميزة. يقول « نسيب عريضة ».

لـو كنـت ربـا فـى السـماء عظـيما ... بجمـيع أمـر الكـائـنـات علـيـمـا
لهبطـت مـن أعلـى الـى أرض الشـقـا ... نحـو ابـن آدم مـن خلقـت قـديمـا
ولبثـت أغسـل بـالـدمـوع كـلـومـه ... وأزيـده بتـذللـى تعظـيمـا
مسـتغفرا عـن عيشـة قسـمت لـه ... منذ الخليـقة لا تـزال جحـيـمـا

ويلاحظ أن الشاعر لا يشعر بقدسية الله شعورا فيه رهبة العابد وإجلال العارف ولكنه فى سبيل إسعاد الإنسان يفقد احترامه للذات العلية فيخاطب الله بل يتحدث بلسان الله. ويصور الله نادما مستغفرا ـ يطرح نفسه عند موطىء أقدام ابن آدم ويسجد أمام وجهه تكريما له. وفى ذلك إيذاء للشعور الدينى لا يليق بشاعر مثل نسيب عريضه فكيف يقدم الله ويستغفر ويسجد أمام وجه ابن آدم؟ إنه تصور مرفوض، ومبالغة من الشاعر فى تكريم ابن آدم...!!!

– وتشيع فى ديوان القروى الروح الدينية الصافية والممتزجة بالحماس القومى وهو يلتقى مع الريحانى فى هذه النظرة، ويتعصب للعروبة، ونطالع فى ديوانه القصائد الآتية ـ صلاة – وقفة على القبر ـ ونفخت بى – فزع الى الله سبحانه ـ يارب ـ الاهى ـ عيد المولد النبوى ـ عيد الفطر ـ أين وجدت الله.(١).

والحب عند القروى مفتاح الدين« يقول:

(١) ديوان القروى الصفحات الاتية على التوالى ٨٢، ٨٨، ١٠٢، ١٢٠، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٨٩، ٣٥٥، ٨.٧.

كشـــفت ضـمير الديـن يـوم كشـــفته ... ولـــــم أعـــترف بالله حتى عرفـــته
فمـــا أنـــا فـــى الأكـوان بعـد بباحث ... وفـــــى كبـــدى ألفيـــته وألفـــته
غسلت مـــن البغضـــاء والحـــقد أضلـــعى ... ببعـض الـذى من كأسـه قـد رشـــفته
وشـــدت بـــه بيتـا جعلـــت حـــدوده ... وراء حـــــدود الوصـف لـما وصـــفته
بأعمـــــدة الخـــلق المتـــين دعمتـــه ... وأجنحـــة الـــروح الأمـين ســـقفته
فمـــــا الأرض إلا ذرة فـى فنـــائـه ... مغلفـــلة بـــين الحصـــى إذ رصـــفته
ومـا الدهـر فـى السبع الطبـاق تنضـــدت ... سوى ثمـر مـــن روضـــه قد قطـفته (١)

– ومحمود الشريف جعل الأدب دعوة إلى الاتحاد بالله لأن هذا أساس السعادة في الحياة، ولأن الأدب. لا قيمة له إن لم يسر والفضيلة على وفاق مستمر فالأديب أو الشاعر هو رسول الحياة، وهو قائد البشرية.. فإذا فسد الملح فبماذا يملح؟.

وهو لذلك يثور على ما نسميه، الأدب البغى ثورة جارفة ساحقة».(٢) ويثور محمود الشريف على الجهل والجمود فى فهم الدين.

وتتضح هذه الثورة فى كتابه في الصفحات التالية: ٢٤ – ٤٩ – ٧٥ – ٧٧ – ١٣٧ واتسمت ثورته بالجرأة على من خالفوه ولم يفهموه.

وامتدادا لهذا التأثر يعرف الشعر كما ينبغى أن يكون بعد أن تدب فيه روح التجديد فيقول «الشعر عبقرية أو رسالة تولد مع الإنسان، وتشب وتكبر معه حتى إذ اتضح طغت على نفسه وقادتها وأنطقتها، والشاعر روح قدسى خلق للانسانية بلسما على جرح المظلوم. الشاعر هو الحب يتكلم.(٣)

وثورة محمود الشريف على الأدب البغى بدافع من إيمانه بالله وروحانيته السامية يعبر عنها د/هداره قائلا «والواقع أنه يعبر فى هذه الثورة عن رأى شعراء المهجر بلا استثناء»(٤).

وإذا كان أبو الفضل الوليد شاعرا أسلم بعد أن كان مسيحيا فالأديب سيف الدين

(١) السابق ص ٨٠٧
(٢)عيسى الناعورى : أدب المهجر ص ٥٧٧
(٣) د/ محمد مصطفى هداره التجديد فى شعر المهجر ص ٧٨
(٤) السابق ص ٧٩

الرحال مسلم النشأة والتعليم فهو كاتب وشاعر وعالم مصرى من طراز الاساتذة الجهابذة، عملاق بروحه وجسده، جبار فى صبره على الجهد الطويل تأليفا كان أو ترجمة أو تحقيقا أو جدالا، يقول:

إنه تلقى العلوم فى الأزهر الشريف وتلقن فن الإنشاء وأصول الدين من الإمام الشيخ محمد عبده وأنه تخصص في علوم الكيمياء والكهرباء وفنون الجراحة الجمالية(١).

وفى موقف سيف الدين الرحال الدينى نلمس جانبا جديدا ونظرة مغايرة عن الخط الذى سار فيه أغلب أدباء المهجر: فموقفه موقف المدافع عن عقيدة معينة وهى الإسلام وجوهره لا يعترف بالتعصب ولا التفرقة العنصرية، ولا الطوائف أو التناحر المذهبى وكان هدف سيف الدين الرحال خدمة الإسلام مما يوحى بروح دينية مخلصة لهذا الدين القيم.

سابعا : الحرية الدينية كانت القاسم المشترك بين أدباء المهجر في موقفهم من العقيدة. فعلى الرغم من أن أغلبهم يدين بالمسيحية لكن لم يتعصبوا لها بل هاجموا رجال الدين فيها لتصرفاتهم البعيدة عن جوهر العقيدة المسيحية وغلبت عليهم النظرة الإنسانية. ولم تقف العقيدة حائلا بينهم وبين ثقافتهم وتعاملهم مع الآخرين.

وجبران والريحانى والياس فرحات من أشد الأدباء هجوما على رجال الدين المسيحى.. وقد استخدموا مواهبهم فى التعبير عن آرائهم ولجأوا إلى إجراء هذه الآراء على ألسنة الحيوانات حينا كما فى أحلام الراعى لفرحات، ورواية المحالفة الثلاثية والمملكة الحيوانية لأمين الريحانى.

وأحيانا يعبرون فى قصصهم ومقالاتهم وأشعارهم كما فى قصص جبران، ومقالات نعيمه وجبران، وأشعار أبى ماضى ونعيمه والقروى.

وليس معنى هذا أنهم لا يعترفون بالمسيحية!!!، إنهم يهاجمون مظاهر الزيف التى شوه

---

(١) جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا ص ٦٠١ .

بها رجال الدين الوجه الحقيقى لها – نظرا لخلافاتهم ولأطماعهم المادية واستغلالهم سذاجة بعض الناس ذوى القلوب الطيبة والنوايا الحسنة.

– ونلاحظ أن عقيدة التثليث تسيطر على أفكارهم في نتاجهم – فالريحانى يجعل المحالفة ثلاثية، ونعيمة يتحدث عن «ثلاثة وجوه» بوذا – لاوتسو يسوع ويتحدث عن مثلث الحياة.

وأهم ما ميز اتجاههم الدينى السماحة وعدم التعصب لدرجة أن بعضهم أشاد بالإسلام وأنشد القصائد فى مدح الرسول عليه السلام كالشاعر رياض المعلوف وجورج صيدح، وإلياس فرحات، وإلياس قنصل، ونصر سمعان وميشيل مغربى، وزكى قنصل.

فعقيدة جبران هى المسيحية ولكنه لا يتعصب بل نراه ثائرا على مالحقها من زيف وشوه صورتها النقية.

والمتأمل لقصصه الأجنحة المتكسرة، وخليل الكافر، والشيطان، ومرتا البانية، والسيدة وردة الهانى، وصراخ القبور – يجد هذا الخط الثائر على الطقوس الشكلية التى أخفت معالم المسيحية التى تضوأت على يد المسيح وحوارية الأصفياء.(١)

ولذلك نراه مؤمنا بأن الدين هو «ما أنار القلب»

يقول: ومتى كان ضمير جار كنور الشمس حيا نقيا، وقلبه كوردة تتفتح فى الفجر لتستقبل ندى السماء. فلا فرق عندى أن ذكر بين الدراويش أو غيرهم».

ويقول :

أنا مسيحى. ولى الفخر بذلك. ولكننى أهوى النبى العربى وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله. إننى أسكن المسيح شطرا من حشاشتى ومحمدا الشطر الآخر»

– وتتلخص فلسفة الريحانى الدينية فى اتجاهين اثنين:

أولا : محاربة التعصب الدينى ومن يحاول تعميقه فى النفوس. كالقساوسة الذين جعلوا من الدين كهنوتا وطقوسا ونأوا به عن واقع الناس وحياتهم وهو يشير إلى هذا فى عمق وأسى قائلا:

« عندما أفكر فى المذاهب والطوائف الدينية – بليتنا الكبرى – وفى أولئك المتعصبين

(١) انظر النقد التحليلى لهذه القصص فى كتابنا « مقالات وبحوث فى الادب المعاصر» ط/دار المعارف ١٩٨٢

جهلا و نفاقا، الذين يكفرون الناس. ويتعيشون بجهل الناس أذكر بيتين من الشعر الإنكليزى لصديقنا الأمريكى «ادوين مرجهام» ترجمتهما، إن المتعصب رسم دائرة صغيرة. وجعلنى أنا الكافر خارجها ولكنى - والحب عونى - غلبناه فرسمنا دائرة كبيرة وجعلناه ضمنها».

وترجع ثورة الريحانى على التعصب إلى نزعته الإنسانية التى تجعل سلامة الوطن واستقراره فى المقام الأول.

فقد كان منذ صغره وقبل أن يتمرن علي القلم لترجمة أحاسيسه فى مقالات وخطب وكتب يجيل فكره فى مجتمعه وشؤونه. فكانت نفسه تثور على ما يعانيه مجتمعه من صنوف الجهل والجور وما يخضع له شعب بلاده من عبودية لرجال الدين ورجال الإقطاع. وحينما أصبح قادرا على التعبير عن ثورته هذه بالقلم راح يصب نقمته شواظا من نار على كل لون من ألوان الجهل والظلم تارة ساخطا معنفا، وتارة متهكما ساخرا.

فلقى على ذلك الكثير من حملات رجال الدين والإقطاع معا. فنشروا فى أوساط الشعب الساذج الجاهل أن الريحانى ملحد يفسد الضمائر، ويحاول أن يهدم الدين، ويزرع الشكوك في نفس الشعب.

وزاد رجال الدين أن حاربوا كتبه، وجعلوها فى القائمة السوداء التى لا يجوز لكاثوليكى قراءتها، وفرضوا الحرمان من الكنيسة على من يتجرأ على قراءة شيء منها(١).

ثانيا :

وكانت ثورة الريحانى يؤجج نارها رغبته فى عدم اتخاذ الدين وسيلة للتفريق بين أبناء الوطن الواحد. فالدين يدعو إلى جمع الشمل والألفة فالتعصب الدينى لا يمكن أن يصبح سدا منيعا فى وجه الإنسانية والتقدم والاخاء البشرى، ولذلك تتراءى لنا روحه المتحررة فى أكمل صورة للإخاء الانسانى الذى يمشى فى ظلاله الجميع تحت الشجرة الإلهية.

وذلك ما نلمحه فى مقال له عنوانه، الكنيسة والجامع «يختمه بقوله فتعال معى ياأخى المسيحى. تعال إلى الجامع» (٢).

وأكد الريحانى أن بلاده لم يصبها بالضعف والتخاذل وانحلال القوة وتفرق الكلمة إلا ذلك

(١) عيسى الناعورى أدب المهجر ص ٣٥٢

(٢) د / محمد مصطفى هدارة التجديد فى شعر المهجر ص ١٢٤

التعصب الطائفى الذى عطلها وعوقها عن السير فى طريق النهوض.(١)

ويرى أنهم «طائفة من المتاجرين بالأكاذيب» (٢)

والمتأمل لكتب الريحانى المتعددة: الريحانيات، المكارى والكاهن المملكة الثلاثية، التطرف والاصلاح، وغيرها يرى فيها من الحرية الدينية والفكرية الشىء الكثير المدهش.

وقد ركز حملته على رجال الدين المسيحى فى رواية «المحالفة الثلاثية والمملكة الحيوانية. التى انتهى من وضعها فى تموز سنة ١٩٠١ وهى كتاب رمزى تلبس فيه الحيوانات الجبب والطيالس. الحصان والبغل والحمار والثعلب والجمل والثور ويتخلقون بأخلاقنا، ويتحدثون بلغتنا.

ورمز أمين الريحانى لنفسه بالثعلب وللسيد المسيح بالأسد ومن كلماته الجريئة. اجمعوا كتب اللاهوت وأحرقوها كلها. ابنوا عقيدتكم على النواميس الكهربائية والبخارية تجدوا أنفسكم إذ ذاك قريبين من الله بل أمام وجهه المنير المقدس. (٣)

ويتطور رفض أمين الريحانى للواقع المشوش الذى آلت إليه العقيدة إلى التهجم على أسس العقيدة المسيحية نفسها، فينكر حدوث أى صلة مباشرة بين إلاله والإنسان، وينكر تجسد الإله فى بشر، بل وينكر أن تخالف مريم النواميس الطبيعية فتلد دون مباشرة إنسان، وفى لغة رمزية تشف عن المعنى الأصلى فى وضوح فيقول:

«التجسد لا يوافق النواميس الطبيعية، والمخاطبة الشفاهية بين الخالق والمخلوق مخالفة لأحكام العقل – واللبؤة التى لا يضاجعها الأسد لاتحبل والأسد الذى يموت يموت إلى الأبد ولا يعود إلى هذه الحياة ثانية».(٤)

وأمين الريحانى مخطىء فى تحليله السابق. ونظرته لم تتعد دائرة المحسوس وهى نظرة تنأى عن عالم الروح كثيرا ... فالله هو الخالق وهو الذى يعلم سر التكوين وكيفيته قال تعالى «الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون» (٥)

(١) محمد عبد الغنى حسن الشر العربى فى المهجر ص ٤٤
(٢) د/ أنس داود التجديد فى شعر المهجر ص ٦٨
(٣) الريحانيات جـ١ ط ٢ ص ٥٢
(٤) السابق ص ١٨٣
(٥) سورة الروم آية ١٨

لكنه يجعله أمامنا بالطريق الطبيعى الذى ألفه الناس بل هو غريزة خلقية أودعها الله كل كائن حى من أجل عمارة الأرض واستمرار الحياة.

وفى ذلك رحمة بعقولنا حتى لا تشت حين تفقد الأسباب وتعوزها البراهين، فاذا ما جاءت حالة مثل ولادة المسيح فانها من عند الله ويسره وإرادته والمنطق العقلى لا يجيز أن يكون الرسول ابن سفاح.

والقوانين النفسية تثبت أن الشاذ لا يهدى الأسوياء. بل يظل أسير عقدته التى تسد أمامه كل الآفاق... والقرن الكريم يروى ذلك بصدق واقناع «قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو على هين. ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا».(١)

والمنطق القرآنى واضح فهذه هى معجزة عيسى تخرس ألسنة المكابرين وينطق الصبى ليدفع عن أمه خبث الاتهامات. ولم يحدث فى التاريخ أن نطق صبى فى مهده بمثل ما نطق به عيسى «قال إنى عبد الله. آتانى الكتاب وجعلنى نبيا..» (٢) .... وليس معنى هذا أن الريحانى ينكر وجود القوة العليا المسيطرة على الكون التى تستحق كل إجلال وتستوجب الخضوع والعبادة. لأن الريحانى عاد إلى دقائق هذا الموضوع فى مواضع أخرى. وبين أنه ينأى بالبشرية عن الاختلافات حول القشور. ويهمه أن يجتمعوا حول الجوهر الأصيل والنبع الصافى.

وايليا أبو ماضى يثور على التعصب الدينى بل يصل إلى درجة الإعراض عن هذه الخلافات ويتخذ من الطبيعة كتابه ودينه.. ولعل هذا ثورة منه وانفعال ضد الإنسان الذى زيف القيم يوضح هذا فى قصيدته «كتابى» (٣) حين تسأله زوجته دوروثى» عن مذهبه فيقول

وســـــائلة أى المـــــذاهب مـــــذهبى وهـــل كـــان فرعا فـى الديانات أم أصـــلا

---

(١) سورة مريم أية ٢١
(٢) سورة مريم أية ٣٠ – ٣٥
(٣) أبو ماضى الخمائل ص ٧٩

وأى نبـــــىّ مـرســـل أقتـــدى بـــه ... وأى كتـــــاب مـــنزل عنـدى الأغـلـى؟
فقلـت لهـا : لا يقتنـى المـرء مذهـــبا ... وان جـل «إلا كـان فـى عنـقه غـــــلا
أنـا آدمـى كـــــان يحســـب أنـــه ... هـو الكـائـن الأسـمى وشرعتـه الفضـلى
وأن لـه الدنيـا الـتى هـــو بعضـــها ... وأن لـه الاخـرى إذا صـــام أوصـــلـــى

ويصور أبو ماضى بعد ذلك تعاليم الإنسان المشوهة. وهو يهاجم بصورة غير مباشرة رجال الدين الذين يعظونه وهم ليسوا أهلا لذلك... لأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول مبينا تناقض الإنسان:

نهـــانى عن قـــتل النفـــوس وعندما ... رأى غـــرة منـــى تعلـــم بـى القتلا
ونمّ إلـــى الـــرق ثـــم استـرقنى ... وصـــور ظلمـــا فيـــه تمجيـده عدلا

ثم يعلن رفضه القاطع لما يرى من تناقض ويندمج فى الطبيعة فيأخذ منها الدروس والآراء حيث يتسع قلبه للناس جميعا ويبذل لهم حبه وإخاءه لا يفرق بين أحد منهم كالنجم الذى يضىء للجميع، والنهر الذى يسقى الجميع، والطل الذى يزين الورد والأشواك والأرض التى تغذى كل النباتات.. ويقر بهذا كله ويقول:

فأصـبح رأيـى فـى الحـياة كـرأيهـا ... وأصبحـت لـى ديـن سـوى مذهبـى قبـلا
فديـنى كـديـن الـروض يعبـق بالشـذا ... ولـو لـم يكـن فيـه سـوى اللـص منسـلا
وديـنـى الـذى اختـار الغـدير لنفسـه ... وياحسـن مـا اختـار الغـديـر ومـا أحلى
وديـنـى كـديـن الشـهـب تبـدو لعـاشـق ... وقـال، وفيهـا مـا يحـب ومـا يقـلـى
ودينى كدين الغيـث إن سـح لـم يبـل ... أروى الأقاحى أم سقى الشـوك والدغـلـى

- وأما إلياس فرحات فإنه لم يعرف المذهبية فى الدين.. فالدين عنده فى القلب النقى وحده وهو فى ذلك يلتقى فى النسيج الموحد الذى يجمع الفكر المهجرى الدينى وفلسفتهم الإلهية.. يلتقى مع جبران فى نبذه للتعصب، ومع نعيمه فى روحانيته الصافية ومع أبى ماضى

---

(١) سورة مريم آية ٣٠ - ٣٥ .
(٢) أبو ماضى الخمائل ص ٧٩ .

في ابتهالاته السامية، ومع الريحاني في رغبته في جمع شمل الأمة المتصدع، فهو لا يؤمن بمظاهر الدين أو طقوسه لأن الدين عنده في القلب النقي وحده. ولا علاقة له بما يضيفه إليه أصحابه من مراسم وطقوس وانقسامات، وهولا يتصور مطلقا أن يكون الدين سببا للتفريق بين أبناء الأمة الواحدة أو أبناء الإنسانية عامة.

وعلى الرغم من أنه مسيحي المولد والنشأة إلا أنه لا يمارس طقوس الدين المسيحي بنفسه ولا بأبنائه. ويشير في عدد من قصائده إلى ملاحقة بعض الكهنة له لكي يعمد بناته ويذكر أنه كان يردهم عن هذه الملاحقة لانه لا يؤمن بعقائدهم.

ويكاد يكون فرحات من أعنف من هاجموا التعاليم المسيحية ومن أصلبهم وأكثرهم تطرفا. ولعل السبب الأكبر في كراهيته لهم ما رآه في وطنه لبنان من انقسامات مبنية كانت نكبة كبرى على وطنه. فلم تكن مذبحة عام ١٨٦٠ «ألف وثمانمائة وستين لتقع في لبنان لولا اختلاف الدين ولم تكن فرنسا لتسيطر على لبنان لولا تعلق قسم من اللبنانيين بها باسم الدين».

– والآن على الرغم من تقدم العصر وازدهار الحضارة تتجدد المأساة في لبنان. مسلمين ومسيحيين ومعارك دامية، وضحايا بالآلاف. ودمار في كل مكان.

ولكن أين الشعراء؟ انشغلوا بأمور أخرى. أين الانتفاضة الأدبية المصبوغة بالدم. المنبثقة من مأساة الجماجم ووديان الموتى.

– ولا يكتفي إلياس بالسخرية من رجال الدين لكنه يسخر من نصوص الكتاب المقدس ويشترك معه الكثير من أدباء المهجر في ذلك فيقول في إحدى رباعياته:

إلـــه اليهـــود يحـــب الحميـــر	وليـــس يحـــب الألـــى يفهـــمونْ
فـــإن تنـــكروا تكفـــروا بالكتـــاب	ومافيـــه وحـــى كمـــا تزعمـــون
أمـــا كـــان آدم وهـــو جهـــول	محاطـــا بعطـــف الإلـــه الحنـــون
فمـــا عـــرف الخيـــر والشر حتى	نفـــاه وعاقبـــه بالمنـــون (١)

وفي ديوان أحلام الراعي نلمس عقيدةَ الياس التحريرية ودعوته إلى كسر التقاليد البالية ومحوها وبذلك يضم صوته إلى أصوات المهجريين المتمردة .

(١) إلياس فرحات : الرباعيات ص ٥٤ .

فهو يبغض المفسدين المفرقين ودعاة العنصرية والطائفية والأقلية بين المهاجرين ويعبر عن هذا فى قصيدته "محاكمة" وينتهى فى هذه القصيدة إلى حكم القاضى على "الكبش" الدخيل المفسد الذى قضى مثخنا بالجراح بعد الوقيعة التى أشعلها بين الغنم . بأن يسلخ وجهه ويحفظ ليظل شكل الخيانة ماثلا أمام الجميع .

ثم يطرح جسمه فى النار ويقول :

ولا رحـــم اللـــه روحـــــا تـــدفق مـــــنها الـقـــذر
إذا ســقـــر قـــــبِلَتهْـــــا فـــقـــد زاد شـــــرســـــقر

وقصيدة "علامة استفهام" (١) تعبر عن رأى الشاعر فى الأديان ودعاتها حيث يناقش فيها قضية الخالق بأسلوب شعرى "مناقشة فكرية عميقة . (٢)

فإذا ما ذهبنا مع القصيدة إلى نهايتها لنعرف رأى الشاعر فى قضية الخالق فلن نكون بعيدين عن الحقيقة إذا قلنا إن الشاعر قد ابتسم ابتسامة غامضة فى النهاية لم تعط يقينا لأحد الفريقين .

فقد اختتم دفاع المؤمنين بالله بتلك النظره الساخرة من رجال الدين وأنهم وجدوا بين البشر عقابا لهم على التهامهم الشياه . وأن ذلك حسبهم دليلا على عدالة الله. (٣)

والقصيدة الاخيرة "رثاء الغضروف" من أطول قصائد المجموعة يبدؤها الشاعر بمرثية صغيرة متحسرة على كلبه الأمين ومساعد الأيمن فى رعاية أغنامه ثم يستطرد فيذكر حلما رأى فيه كلبه قد عاد إلى الحياة فى ثوب إنسان عقابا من الله له !! فأصبح مضطرا إلى الجرى على سنة الناس فى المجاملة والتملق والكذب وحين يصحو الراعى من حلمه يهرع ليرى قطيعه فيرى وقد كرت عليه الضوارى فيتذكر كلبه الأمين من جديد ويذرف عليه دمعة حارة صارخا .

غـــضروف يـــاحسرتى علـيك ويـــا ذلـــــى وذل المـــراح والشـــــاء

وفى عودة الكلب إلى الحياة على شكل إنسان تأكيد لمعتقد إلياس فى فكرة التقمص

---

(١) أحلام الراعى ص ٩٦ .
(٢) د / أنس داود : التجديد فى شعر المهجر ص ٢٤٦ .
(٣) السابق ص ٢٤٦ .

والتناسخ التى رددها جبران ونعيمه وقويت أصداؤها فى نتاجهم الأدبى المتنوع .

وفى هذه العودة التى تضمنت عقاب الله له رجوع إلى الفكرة التى عبر عنها الشاعر فى قصيدة سابقة هى فلسفة الغضروف . فإذا ربطنا هذه الفكرة فى القصيدتين بحملة النعجة على لؤم الإنسان وغدره فى قصيدة " سلام الغاب " وبحملة الشاعر على المفرقين بين الناس بحجة الدين فى قصيدة " علامةاستفهام " والذين يشيعون روح الانقسام بين الآمنين فى قصيدة محاكمه وجدنا أن الشاعر فى (خمسة أسداس) ديوانه يهدف إلى تهذيب الإنسان وتعليمه معانى العدل والرحمة والمحبة .

وأداه حُبُّ تهذيب الإنسان إلى التسامح الدينى والالتقاء فى رحاب الأخوة الإنسانية يقول : فيم التقاطع والأوطان تجمعنا . . قم نغسل القلب مما فيه من ضجر

– والشاعر : رياض المعلوف يقول فى إحدى رسائله إلى " إننى لست متعصبا ولا متزمتا . أما قضية الخالق فلا شك أنه موجود وإن يكن غير منظور .

والدليل أن إحدى الأمم أرادت أن تختبر ذلك باستغنائها كتجربة عن قائد الأوركسترا أو الجوقة السمفونية الموسيقية هكذا بتركها إدارة نفسها بنفسها .. فخاب الظن .. وساد النشاز وعمت الفوضى بين الموسيقيين .. وفقد الانسجام والتآلف .(١)

انه يخاطب ربه فى همس رقيق ولغة شفافة قائلاً :

فاقبل صلاة بالعيون همستها ... وبها فمى بجميل حمدك ينطق
من شاعر عرف الحقيقة كلها ... هو لم يكن يوما لها يتملق
فسرت على شفتى الأثيمة نسمة ... علوية هى من عبيرك تعبق
وأنا حيالك من أنا ياخالقى ... كذريرة بيخور قدسك تحترق
دعنى أقبل راحتيك تيَمُّنا ... بيد هى الدنيا تشع وتشرق (٢)

ومن منطلق إيمانه العميق .. وعدم تعصبه يخاطب المصطفى عليه الصلا ة والسلام فى المولد النبوى قائلا :

---

(١) من رسالة بعث بها الشاعر إلى فى ١٤/ ١٢ / ١٩٧٧ م .
(٢) من قصيدة : يد الله " وقد وردت هذه القصيدة فى ديوان خيالات " وديوان " زورق الغياب ، وديوان غمائم الخريف

يـــانبـــيّ الأعـــراب والإســـــلام عـــيدك الـــيوم بهـــجة للأنـــــام
هـــو يـــوم مـــحـــجل عـــربى فـــيه أقـــبلت مـــشرقا كـــالحســـام
أنـــت يـــا صاحـــب الرســـالة فـخر أنـــت أهـــل للمـــدح والإكـــرام
تـــنثر الحكـــمة البلـــيغة شـــعرا عـــربيا يـــطيب للأفهـــام
علـــم الـــدين فـــى يـــديك تـــعالى فـــى الـــذرى وهـــو قـــبلة الأعـــلام (١)

وتأتى عبارات الشاعر غير الملائمة لخطاب الرسول . ويبدو أنه أراد أن يجامل المسلمين ولا يورط نفسه وهو الذى يدين بالعقيدة المسيحية . أو أنه لبعده عن المناخ الإسلامى الصحيح لم يدرك كيف يخاطب الرسول عليه السلام .

فالنبى ليس نبى الأعراب فقط وكلمة الأعراب مرتبطة فى الوجدان الإسلامى بالكفر والنفاق وبعدم القدرة على التفريق بين الإيمان والإسلام .

وأحاديث الرسول حينما توصف لاتشبه بالشعر بل هى فوق مستواه والله يقول :

" وما علمناه الشعر وما ينبغى له " صدق الله العظيم .

ومشاركة المهجريين المسيحيين لاخوانهم المسلمين فى أعيادهم ترجع إلى سماحتهم الدينية ، وشعورهم القومى المعتز بالعروبة .

فالقروى ينبذ التعصب ولا يسمح له أن يفرق بين أبناء الأمة الواحدة ، والرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو باعث هذه الأمة الأول وموحدها بدينه ودعوته يقول :

أكـــرم هـــذا العيـــد تكريم شاعـــر يتيـــه بآيـــات النبـــى المعظـــم
ولكنتـــى أصبـــو الى عيـــد أمـــة محـــررة الأعنـــاق مـــن رق أعجـــم
إلـــى علـــم من نسج عيســـى وأحمـــد وآمنـــة فى ظلـــه أخت مريـــم (٢)

ويدافع من الشعور نفسه والاهتزاز بالقومية العربية يقول الياس فرحات :

(١) رياض معلوف : غمائم الخريف ص ١١٠ .
(٢) ديوان القروى جـ١ ص ٣٥٦ .

غمـــر الأرض بأنـــوار النبـــوه ... كوكـــب لـــم تدرك الشمـــس علـــوّهْ
لـــم يكـــد يلمـع حتى أصبحـــت ... ترقـــب الدنيـــا ومـــن فيها دنـــوّه
بينمـــا الكـــون ظـــلام دامـــس ... فتحـــت فى مكـــه للنـور كُـــوّهْ
وطمـــى الاســـلام بحرا زاخـــرا ... بـــأوازىّ المعـــالـــى والفتُـــوّهْ
مـــن رأى الأعـــراب فى وثبتـــهـــم ... عرف البحـــر ولـم يجهـــل طُمُـــوّهْ
إن فـــى الاســـلام للعـــرب عـــلا ... إن فـــى الاسلام للنـــاس أخُـــوّهْ
يارســـول اللـــه إنـــا أمـــة ... زجهـــا التضليـــل فـــى أعمـق هـــوه
ذلك الجهـــل الـذى حاربتـــه ... لم يـــزل يظهـــر للشـــرق عتـــوهُ
قـــل لاتباعـــك صلـــوا وادرســـوا ... انمـــا الديـــن هـــدى والعلم قـــوّه

والشاعر إلياس قنصل يخاطب الرسول عليه السلام فى قصيدة طويلة تبلغ ثلاثة وثمانين بيتا . (١) ويمجد فى الرسول روح الأخوة والمساواة والتسامح ويقول فيها :

انـــى ذكرتـــك يامحمـــد ناشـــرا ... روح الأخـــوة فـــى بنـــى الانســـان
يعلـــو " بـــلال " العبد أشرف قبـــة ... ليذيـــع منهـــا أشـــرف الألحـــان
حـــق المواهـــب أن يقـــدر أهلهـــا ... لا فـــرق فى الأجنـــاس والألـــوان
انـــى ذكرتـــك يارســـول مقابـــلا ... أســـراك أسرى الشـــك والعصيـــان
لـــم يظفـــروا بـك مثلمـا رغبـــوا ولو ... ظفـــروا - لجـــد الحقـــد بالغليـــان
وظفـــرت أنـــت ، فلـــم تشأ تجريمهـــم ... أو رميـــهـــم بمعـــرة وهـــوان

* *

وبنيـــت أعظـــم دولـــة نشـــرت علـــى ... قاصـــى الوجود صلاحهـــا والدانـــى
إن غـــاب بعـــض روائهـــا فلأننـــا ... نحـــن المصادر لا الزمان الجـــانـــى

وفى عيد الفطر يهتز وجدان الشاعر " زكى قنصل " ويعد عيد الفطر " عرس الضياء ويصف مقدمه السعيد ويربط بين آذان رمضان وترتيلة الميلاد : يقول .

---

(١) د / خفاجى : قصة الأدب المهجرى ص ٢٦٤ .

عُـرْس الضيـــاء ، وعـــزة الأعيـــاد ... إن القلـــوب الـــى نـداك صـــــواد
هشـــت لمقدمـــك السعيـد حواضـــر ... وتهللـــــت - لمـــا هللـــت بـــواد
إنـــى لتربطنـــى بركـبـــك نزعـــــة ... عربيـــــة ملكـــت علـــى قيـــــادى
رمضـــان - هبنـــى من أريجـــك نفـحة ... نديـــــاء تحيـــى بالرجـــاء فـــؤادى
كحـــل بأنـــــوار السماء بصيرتـــى ... واغمـــس بأطيـــاب الفضيلـة زادى (١)

وفى موسم الحج يشارك " جورج صيدح " وفود الحجيج فرحتهم ويربط بين هذه المناسبة وبين اغتصاب فلسطين ويحث العرب والمسلمين على استرجاع الأماكن المقدسة ويقول :

حجـــوا جنـــاح اللـــه واعتصمـــوا ... ياقاضـــى الحـــاجـــات كـــن لهـــمُ
الـــــروح تسمـــــع ما يخالجهـــم ... ان سـد آذان الـــورى صمـــــمُ
والركـــــن يلمـــس مـــن شعائرهـــم ... شكـــــوى تضيـــق ببثهـــا الكلـــمُ

* *

ان الحـجـيـــج يحثهـــم أمـــــل ... غيـــر الحجيـــج يحزهـــم ألـــــم
علـــم علـــى الحرمـــين ذكرهـــم ... بالثالـث الهـــادى بـــه العلـــــم
بالمسجـــد الأقـصـــى بجيـرتـــه ... بمآتـــم فى العيـــد تنتظـــــم
حملـــت فلسطـــين الصـــدور إلـــى ... قبـــر الرســـول إليـــه تحتكـــم
تستـــشفـــع الأضحـــى وحرمتـــه ... فـــى موطـــن هامـــت به الحـــرم (٢)

تعليق : آمن المهجريون بأن الله هو القوة الكبرى التى تقف وراء كل حركة فى هذا الوجود المترامى الأطراف ، وقد غالى بعضهم فى هذا الموقف إلى درجة تشبه موقف المتصوفين من فلسفة الاتحاد والحلول .. ووحدة الوجود وهى معتقدات يشوبها الغموض وبعيدة عن الصواب .

أما عن جوهر العقيدة فبعضهم آمن بالتثليث وهو معتقد المسيحيين ويسمى بالأقانيم الثلاثة " وجوهر المسيحية لايقر هذا المعتقد فالله واحد والمسيح ابن مريم وليس ابنا لله .

(١) د / نظمى عبد البديع : أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ص ٣٨٢ .
(٢) السابق ص ٣٨٤ .

ومنهم من آمن بالوحدانية وثار على عقيدة التثليث " مثل جبران والريحاني وفرحات يقول جبران على لسان أمنة العلوية وهى تخاطب - نجيبا فى مسرحية " إرم ذات العماد ".

قل لا إله إلا الله ولا شيء إلا الله وكن مسيحيا "

* *

ولقد خان بعضهم التوفيق فى أدائهم التعبيرى حين خاطبوا الله حيث لم يشعروا بهيبته القدسية فأتوا بألفاظ وتعبيرات بعيدة عن ذوق المؤمن وغير لائقة فى الحديث عن الحق سبحانه وتعالى .

ومن ذلك ما يعتقده نعيمه فى " الرجل الإله " وهو معتقد مخطىء فعنصر الآدمية غير عنصر الألوهية ، ولايمكن للإنسان مهما ارتقى فى العبادة والروحانية أن ينفصل عن بشريته .

ويصف أبو ماضى الإله " بالثرثار " فى قصيدته " الإله الثرثار " ولا يليق هذا الوصف مهما كان التعبير رمزيا .

وأيضا فى قصيدة " أمنية إلهة " يخونه التوفيق .. فكيف يؤنث الإله .. ؟ وهو واحد لا شريك له ؟

ويصور قصة حب بين إله وإلهة " ويقول " أحب إله الإهة " ويبدو أن التعبيرات والتصورات اليونانية القديمة التى تناقلها الشعراء فى أوروبا وفى العصر الحديث عن آلهة الحكمة وآلهة الجمال ، قد أثرت فى المعجم الشعرى لأبى ماضى وغيره من الذين لم يتورعوا فى استعمال مثل هذه الأساليب .

كذلك يؤخذ على أبى ماضى " أنه اتخذ الحرية نبيا له ، والكون كتابا وأنكر الكتب السماوية فالمذاهب فى رأيه أغلال تشل حركة الإنسان يقول :

فقلت لها لايقتنى المرء مذهبا وإن جل إلا كان فى عنقه غلا

وصار نبيى كل مايطلق العقلا وصار كتابى الكون لاصحف تتلى

كذلك يؤخذ على أمين الريحانى إنكاره لولادة المسيح بدون مباشرة جسدية حيث يقول رامزا إلى المعنى الذى يريده " واللبؤة التى لا يضاجعها الأسد لا تحبل " وقد رددت عليه وفندت مزاعمه فى المبحث السابق " الحرية الدينية ".

ويؤخذ على القروى كما يؤخذ على كثير من أدباء المهجر . أنه لم يتأن فى اختيار الألفاظ

التى تناسب التحدث عن الله أو مخاطبته . وفى ذلك تجريد لله من هالات القداسة التى تغمره .

فنرى إلياس فرحات يقول : إله اليهود يحب الحمير ، ونسيب عريضه يقول : إن الله تمنى أن يسجد أمام آدم ليعتذر عن إساءته إليه .

والقروى يجعل الإله جاهلا بتجربة الإنسان مع حنان الأم .. فيقول بعد سرده لقصة الشاعر وحواره مع الله واختلافه معه :

فأطـــرق سيـــد الأكـــوان طـــــرا ... بشكوى شاعـــــر الغبـــراء واهتـــــم
وقـــال لنفســـه هـــــذا محـــــال ... أيعلـــم شاعـــــر مالست أعلـــــــم
أينعـم خاطـــىء فـــى الأرض قبلـــى ... بما أنا لســـت فـــى الفردوس أنعـــم
لاكتشفـــن هـــذا الســـر يومـــا ... ولو كلفـــت أن أشقـــى وأعـــدم (١)

ويرى أن الأديان نوع من الآداب الشعبية المتوارثة التى يصعب على العامة تفهم مراميها ووسائلها الفنية فتؤمن بأن حكاياتها ليست من قبيل الرموز الفنية بل من قبيل الحقائق الثابتة " لكنها آداب سامية صقلتها قرائح المصلحين البلغاء وان وهم العامة أنها غير ذلك " (٢)

وقد أكد رأيه هذا فى قوله من قصيدة يخاطب بها المتنبى .

نبـــى ولو ضجـــت شيـــوخ وركبـــان ... وهـــل بعد اعجـــاز ابـــن كندة برهـــان
وكـــل كـــلام يرفـــع النفـــس منـــزل ... وكل كـــلام يفســـد العقـــل بهتـــان
ولا فـــرق فـــى الآيـــات الا بأنهـــا ... لـــذى العقـــل آداب وذى الجهـــل أديان (٣)

وقد ورد البيتان السابقان برواية أخرى . فى الطبعة التى حوت الديوان كله فقال " وكل مقال " وقال : وذى القلب ".

وعند تقويم موقفه من تقاليد العقيدة نراه لايخضع لها فهو ينتقد مبادىء المسيحية

---

(١) ديوان القروى ص ٨٠١ .
(٢) د / أنس داود : التجديد فى شعر المهجر ص ٢٤٨ .
(٣) ديوانن القروى جـ١ ص ٤١٥ .

ويحمل فيها على قصة غضب المسيح على باعة الحمام وطرده لهم من الهيكل يقول مخاطبا سلطان باشا الأطرش قائد ثورة الدروز.

فيـا حمـلا وديعـا لـم يخلـف ... سوانـا فـي الـورى حمـلا وديعـا
غضبـت لـذات طـوق حـين بيعـت ... ولـم تغضـب لشعبـك حـين بيعـا
ألا أنزلـت إنجيـلا جـديـدا ... يعلمنـا إبـاء لاخنوعـا (١)

- ٩ -

تاسعا : ومن أدباء المهجر من أسلم مثل " أبى الفضل الوليد ، ومنهم من كان مسلما مثل سيف الدين الرحال ، ومحمود الشريف .

وكان الرحال متعصبا للإسلام .. وبايعاز من هذا الشعور القوى تجاه الدين نراه يحرص على السلوك الاسلامى ، وربما أداه ذلك إلى الصراع مع غيره من الشعراء والأدباء فقد حرص على عدم استقبال " إلياس فرحات " حين زار الأرجنتين مع الشاعر القروى ، وأصدر بيانا نشرته الجريدة السورية اللبنانية يومها نصه " انذار وتحذير للمسلمين بأن لا يستقبلوا الشاعر فرحات وأن لا يصافحوه لأنه يربى الخنازير ويتاجر بها في البرازيل .

وقد قام " الرحال " بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الأسبانية حرصا منه على نشر الثقافة الاسلامية وتبصير العالم الغربى والأمريكى بروعة القرآن الكريم .. كان يتوقع أن تطبع الترجمة بمال المسلمين عامة ومال المهاجرين خاصة وان توزع على جميع معاهد الثقافة الأمريكية ليطلعوا على حقيقة الدين الاسلامى هدية الله للإنسان وأن تكلل هام المترجم بهالة المجد والشرف ويرصع صدره بوسام الاستحقاق وبرغم هذا فقد غفل عنه الأدباء المسلمون والعلماء ولم ينوهوا بهذا العمل الفريد .!!!

والرحال يؤمن بالله إيمانا حقيقيا لاشك فيه ولا ارتياب ولاحيرة ولااعتراض وانما اليقين الروحى ، والصفاء النفسى ، والإيمان بالقوة الكبرى شعاره فى محراب التأمل الروحى ،

---

(١) السابق ص ٣٠٩ .

وسلاحه الذى يشهره فى وجه كل دواعى التمزق النفسى والفزع الروحى .

* *

ومن الأدباء الذين اقتنعوا بالإسلام الشاعر " أبو الفضل الوليد " فقد غير اسمه رسميا فى سجلات حكومة البرازيل عام ١٩١٦ م " من " إلياس طعمه " إلى " أبو الفضل الوليد " ابن عبد الله طعمة .

ونذر نفسه للدفاع عن الإسلام ، وكتب مطولة شعرية عارض فيها تائية ابن الفارض " نظم السلوك " وقد بلغت ٣٠٠ ثلثمائة بيت . ويقول فيها :

أعاهد ربى أن أصلى مسلما ... على أحمد المختار من خير ملة
هدانى هواها ثم حبب شرعه ... إلى فصحت مثل حبى عقيدتى
فمن قومه قومى أدين بدينه ... لأنى أرى الاسلام روح العروبة
توسلت بالقربى إليه فلم تضع ... لدى العربى الهاشمى شفاعتى (١)

وفى موقفه من الاسلام تتمثل غيرته الشديدة على تعاليمه وأمجاده .. فنراه يبكى بحرقة علي مآذن الأندلس التى أصبحت ترن فيها الأجراس بعد أن كانت تتشح بهابة الأذان .. انه يصرخ فى أسى :

ياأيها المسجد العانى بقرطبة ... هلا تذكرت الأجراس تأذينا
تلك المساجد صارت للعدا بيعا ... بعد الأئمة لاتهوى الرهابينا

ويعتز بعقيدته الجديدة وبأبطالها فيقول مخاطبا : فاطمه الزهراء

أيا بنت النبى رفعت قدرى ... بتقريبى إلى الملا العلى
وقد جردت من شعرى سيوفا ... تذود عن الضريح اليثربى
وقد أشعلت بالفرقان لبى ... فهذى النار من صدرى اللظى
فقالت أنت بالاسلام أولى ... فصل وسلم على النبى (٢)

* *

(١) جورج غريب : أبو الفضل الوليد ص ٤٩ت .
(٢) على الجمبلاطى : أبو الفضل الوليد ص ٣١ .

وقد اهتدى الشاعر إلى الإسلام بعد بحث شاق وحيرة مضنية ، ووجد فى الإسلام ماطمأن روحه وهدأ نفسه ، فلا داعى للتساؤلات ، واللا أدريات والشكوك والتبرم كبقية الشعراء والأدباء المهجريين .. فالقرآن كنز الحقيقة فيه مايشبع الروح ويروى العقل ويطمئن القلب ، وقد انشغل الشاعر بتاريخ أمته وأمجاد الإسلام وألقى بموهبته الشعرية المتفجرة فى أتون النضال القومى ، والتحدى الحضارى فاشتعل كيانه ، ووجد نفسه ثائرا علي ذاته منطلقا خارجها يرود مفازات الحرية ويهز المشاعر ، ويوقظ النفوس ، ويبعث روح اليقظة فى الأمة .. ويصرخ .

حتام أنتم صابرون على الأذى ... والام أنتم غُفَّلٌ ونيامُ
أموالكم ونفوسكم منهوبة ... وديا ركم فيها الخطوب جسامُ
هزأ الفرنجة شامتين وقولهم ... المسلمون حياتهم أحلامُ
والدين لا يعتز مالم يحمه ... ملك بناه باسل وهمام(١)

(١) السابق ص ٣٣